إلى القارئ

إن حرصنا على أن يستوعب كافة التونسيين عامة ، ورجال الثقافة والمربون خاصة ، أبعاد المعركة الفكرية من أجل الوجود الفردى والقومى الأكمل ، يملى علينا أن نميز - عند الحديث عن وجوب إقامة نظام أصيل للتربية - بين التونسة والتعريب .

فالتونسة تقتضى أن يهدف الهيكل الجديد لنظامنا التربوى إلى تجسيم كل مقومات الأمة وغرس العقيدة الوطنية فى نفس الشباب بحيث يؤمنون بأنهم ينتسبون إلى وطن له خصائصه الحضارية وله تاريخه وأمانيه فيعتزون بالانتساب إليه ويندمجون فيه ويستعذبون البذل والتضحية من أجل نصرته ومناعته . وهذا لن يكون ما لم يتم الاتفاق بين أهل الحل والعقد ورجال الفكر على محتوى هذه التونسة ، وما لم يتيسر ضبط مقومات الأمة التونسية ومعرفة خصائصها وما لم يشيد سلم القيم الروحية والاخلاقية الذى به يكيف الشباب أعمالهم ومنه يستوحون سلوكهم وآتجاهاتهم .

و لاتنحصر التونسة كما يظن البعض فى دروس التربية المدنية بل هى تقتضى أن يعاد النظر فى كل المواد التعليمية والبرامج التثقيفية بحيث تكون الروح والمقصد والمنزع والاطار التربوى ترمى كلها إلى تاصيل الشباب فى وطنهم من دون مبالغة أو تعصب . وهذا صحيح بالخصوص بالنسبة لتدريس اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة ، بل وحتى اللغات الأجنبية . وعلى هذا المعنى ننادى بتونسة برامج اللغة العربية مع ما قد يوجد فى هذا التعبير من غرابة فى الظاهر - مع العلم بأن خطوة هامة تم إنجازها إبتداء من الموسم الدراسى الحالى - أى أننا نطالب بأن تكون أغلب النصوص المختارة للتفسير والمطالعة منتخبة من كتب ودواوين تونسية ، تصور البيئة القومية وترسخ التلميذ فى وسطه وتحبب إليه أهله وتدفعه إلى الاعتزاز بقومه - على ما هم عليه من قوة وضعف - بل إنها قد تبعث فيه الحماس للمساهمة فى تقدم بلاده سياسيا أو علميا أو اجتماعيا ... أما الآن فان التلميذ يتجاوز مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى وهو لا يكاد يجد فى برامج اللغة والأدب العربية ما يفيده بأن هذه البلاد انجبت ولا تزال أفذاذا فى الفقه وعلوم اللغة والقصة والشعر ، فيدخل الجامعة يتيما ثقافيا جائعا روحيا متلهفا الى التهام كل ما يرد عليه من الشرق أو الغرب فيعيش منبتا مقطوعا من أصله رغم ما قد يحرزه من شهائد علمية ممتازة .

أما التعريب الذى هو مقوم من مقومات التونسة كالدين الاسلامى الحنيف فهو ضرورة حتمية ما دامت لغة البلاد التونسية هى العربية ولا بد من مجهود شجاع لتعريب مواد رئيسية كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة - التى كانت تدرس فروع كثيرة منها كالأخلاق وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية بالعربية فى سنوات التطبيق بمدارس الترشيح وبالنسبة لذوى اللسانين أيضا ، فى عهد الحماية وإدارة السيد لوسيان باى بصورة أدق - وحتى العلوم الطبيعية - التى كانت تدرس فى بعض أقسام المدرسة الصادقية - الى جانب مدارس الترشيح - فى عهد السيد باى أيضا بله الخلدونية والشعب العصرية بالمعاهد الزيتونية - ..... وذلك على مراحل معقولة وفى نطاق سياسة قومية حازمة لتكوين الاطارات التونسية ، وما دامت دراسة اللغات الحية وخاصة اللغة الفرنسية واجبة حتى فى الابتدائى - على أساس انها لغة حية وحسب - فانه من الممكن فى أجل يمكن تصوره ، تدريس العلوم الصحيحة بالعربية على أن يتمكن الاساتذة والباحثون بما يكونون قد حذقوه من لغات حية من الاتصال المباشر والمستمر مع سير هذه العلوم فى الخارج ومواكبة قافلة الأمم المتقدمة فى هذا الميدان ريثما يدخلون فى طور الاكتشاف والانتاج .

والخلاصة فان التعريب اذا اقتضت بعض المعطيات التاريخية والبشرية والتربوية التمهل فى تعميمه وشموله بالنسبة لبعض العلوم الصحيحة فانه لا يمكن اذا كنا مخلصين مع أنفسنا وبارين بوطننا ان نتردد فى التونسة بل يتعين أن نحققها ونصبغ كل برامجنا بروح منها فى نطاق الجدوى والاعتدال .

عندما يحفى المقص

بقلم : حسين المغربي

يبدو أن مقص « أبـي دلامـة » الذى جـاءت الاشارة اليـه فى افتتـاحية « الفكر » (I) ، كان يمتاز — فضلا عن الاعوجاج — بميزة أخرى ، تنسجم مع الاعوجاج وتكمل صورته البديعة ... وهى ميزة الحفا .

فالمقص الحافى هو الذى اذا حاولت أن تقص به شيئا ، جاء أعوج منحرفا .

واذ كان الاعوجاج علامة من علامات القدم والتآكل ، فان الحفا هو كذلك من تلك العلامات البارزة ، إن لم يكن أبرزها .

وقد تعود الناس ألا يلقوا بالمقص الحافى فى مجامع « الخردة » والمهملات ، إلا بعد أن تعييهم الحيلة فى سنه مرات ومرات . لكن ضيق ذات اليد ، كثيرا ما كان يحول بينهم وبين الاستغناء عن استعماله — رغم الاعوجاج الذى يحدثه فى ضحاياه من المقصوصات ، وتلك كانت حالة أبى دلامة فيما يظهر ، فالشعرة المعوجة التى راض نفسه طويلا على تقويمها — فلم يفلح — إنما زاد فى عنادها وإصرارها أن المقص الذى عالجها به أو عالجه بها ، كان حافيا أيضا ، وقد عجز صاحبنا — رحمه الله — عن توفير مصاريف السن ، وتكاليف الصقل والتقويم ، لذلك المقص التاريخى العجيب .

واذا كانت آفة الاعوجاج ممكنا تلافيها بواسطة النار والمطرقة والسندان ، فان آفة الحفا ، لا تغنى فيها كل تلك العناصر مجتمعة ، مما يجعل الاضطرار الى التجديد أمرا لا مفر منه ولا مندوحة عنه .

والتجديد الذى نعنيه إنما يتصل بالجوهر والروح ، وهو فى نظرنا لا يتم إلا باقتناء بضاعة مصنوعة لا مستوردة ، لأنه بالامكان — دائما — الرجوع « على »

(I) مجلة الفكر — عدد I — أكتوبر 1970 — السنة 16 .

صاحب تلك البضاعة المصنوعة عندما يكتشف فيها وجه خلل أو نقصان ، وإن ذلك الرجوع لميسور فى كل الظروف ، وقابلية الاصلاح والتقويم متوفرة « جبرا أو اختيارا » •

أما البضاعة المستوردة فتبحث عن صلتك بصانعها ومصنفها فلا تجدها ، وقصاراك – حينئذ – أن تضرب كفا بكف ، وتحوقل ، وتقول : « غشنى بائعها ••• قاتله الله ••• »

وما كان الغش – فى الحقيقة – من بائعها ، بقدر ما كان من صانعها الذى نحول بينك وبين الوصول إليه برور وبحار •

لقد بلغ الحماس بنا قبل الاستقلال ، وبعد الاستقلال ، أوج أوجه ، لتصنيع بلادنا ، والوصول الى تحقيق القدر الضرورى لاكتفائنا الذاتى من أهم الحاجيات المصنوعة •

وحال ذلك الحماس الكبير بيننا وبين تحديد تلك الحاجيات ، وتصنيفها ، وترتيب أولوياتها •

ولعلنا لم ندرك – إلا أخيرا – أن أهم تلك الحاجيات هى التى رشحت لتسد حاجيات الفكر والعقل والروح •

وحين أدركنا ذلك ، تلفتنا يمينا وشمالا ، ونظرنا الى الوراء والى الأمام ، فلم نجد إلا بضاعة قديمة مستوردة ، أقبلنا على استهلاكها بنهم محموم ، ولم ننتبه الى العواقب الكامنة وراء هضمها وتمثيلها إلا بعد أن أصبنا جميعا بالمغص والغثيان •

عندئذ عزمنا فيما يبدو على تدارك الأمر •

وإنه لعزم نرجو ألا يكون قد تأخر عن أوانه ، وألا يكون مجرد رد فعل يزول ويتلاشى بزوال عوارض المغص والغثيان •

لكن حذار من أن تكون العلة أعمق وأخطر من مجرد مغص وغثيان •••

فبأى آلاء ربكما تكذبان •••؟

ح• م•

رأي في مستقبل اللغة العربية بتونس

بقلم : المنجي الشملي

قرأت العدد الذى استهلت به مجلة « الفكر » سنتها السادسة عشرة ، فهمتنى فاتحته لانها عادت الى موضوع من أمهات المواضيع ، وهو العناية بتدريس تاريخنا القومى حتى « ترسخ الشخصية » التونسية ، والحق أن هذا الموضوع لا ينفصل عن قضية اللغة العربية ومستقبلها فى وطننا ٠

قرأت تلك الفاتحة فشغلتنى ملاحظات كرهت أن تترك محفوظات ، وعلقتنى خواطر أحببت أن تنشر سافرات ، تؤلف بين هذه وتلك ذكريات ما استطعت لها دفعا ٠

فما أن قرأت فاتحة شهر أكتوبر سنة 1970 حتى ألحت على فاتحة شهر أكتوبر سنة 1955 فعدت اليها ، وطويت خمس عشرة سنة مضت مما يعدون ٠

فى ذلك الشهر النبيل من تلك السنة الغراء البعيدة القريبة ، وتونس فى غمرة الفرح تغذوها هزة النصر ، صدر أول عدد من مجلة « الفكر » ، فابتهجنا ابتهاجا وقوى الحزم فينا ، وصح العزم منا ، ونحن يومئذ على تعطش الى درك ثقافة قومية ترجع الينا أصالتنا أو ترجعنا الى أصالتنا ، انسانية تشدنا الى ما فاتنا وتفتح فى وجوهنا باب الفكر الجديد ٠

وذكرت النفس فنفعت الذكرى ، فتراءى لى القوم جلوسا بنادى قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ، فى مكتب مجلة « الفكر » ، قبل خمس عشرة سنة ، وقد دعيت الى مجلسهم فدخلت اليهم صديقا لبعضهم ، غريبا عن الكثيرين منهم ، قليل الكلام ، فالمجلس قد ضم خيرة الاساتذة ووجوه المثقفين !

لم يذهب عنى ذكر ذلك المجلس ، وقد جد الحاضرون فى الحديث عن حال اللغة العربية ومستقبلها بتونس ، فشغلت ذهنى بحفظ حديثهم حتى أحرزت رفيعه ، ووعيت واضحه وعلمت غامضه ، وهو بين يديك اليوم فى مجلة « الفكر » أسفارا ٠

وتولى عقد ونصف عقد ، والناس فى حال اللغة العربية يقولون ، وعن مستقبلها يكتبون ويحاضرون ويسامرون ، ولا يزالون فى الأمر يختلفون ·

مرت عشر سنوات وتلتها خمس أخر ، ضبطت فيها مناهج للتربية القومية « مخططة » ، وبنيت فيها معاهد لنشر العلم مشيدة ، وأنشئت فيها كليات للبلاد مفخرة ، والمسألة المعضلة ما انفكت قائمة ، فهل فى الأمر سر غريب ؟

الحق أنه قد أساء الى العربية قومها من حيث أرادوا أن يحسنوا اليها ، منذ العهود البعيدة ، فهم عارضوا فى تجديدها ، وعارضوا الدخيل اللغوى فيها ، ذودا عنها وتعصبا لها ، رغبة فى الابقاء على الفصيح من القول والمألوف من اللفظ وخوفا من الشذوذ ، فما « الفصيح » وما « الشذوذ » ؟

لقد غاب عن أيمة اللغة القدامى ، أو عن جلهم ، وعن فريق ممن ينصبون اليوم أنفسهم حراسا للعربية أن للاستعمال قوة القواعد ، بل ما القواعد سوى قوة الاستعمال ؛ استعمال الحذق نريد ، لا استعمال الخبط ، واستعمال الاريب ذى الحزم نعنى ، لا استعمال الغفل ذى اللهو ·

الحق أن تطور العربية لا ينفصل عن تطور أهلها ، وأن حالها لا تنفصل عن حال أهلها ، فحالها بحال مجتمعهم فى ملابساته الاقتصادية والفكرية ، فاذا رمت معرفة مستوى حضارة قوم فانظر فى لغتهم · « فاللغة كائن حى ينمو حتما ويتطور ضرورة ، وظاهرة اجتماعية تخضع للبيئة الاجتماعية والمعطيات الاجتماعية وسنة المجتمع ·· حتى أصبح من المبتذل أن يقال ان القضية ليست قضية اللغة العربية ، ولكنها قضية الثقافة العربية ، قضية الفكر العربى ، والأزمة ليست « أزمة لغة » ، ولكنها « أزمة عقول ·· (1) »

* * *

ذكرت هذا وان كان من الاوليات ، لان من أعسر الامور اقتناع المرء بالأوليات ، وذكرت هذا لأنى على مثل اليقين أن خمس عشرة سنة ذهبت عنا من تاريخ تونس المستقلة ، بدون أن تحدد قضية اللغة العربية تحديدا مضبوطا تتضح به الطريق ونشرع حسبه فى العمل الواضح المثمر ·

---

(1) راجع مقالا لنا بمجلة الفكر ـ السنة 5 ـ العدد 5 ـ فيفرى 1960 : « من المشاكل العملية التى تعترضنا فى استعمال العربية » ·

انى أعلم ، كما تعلم ، ما دعت اليه البرامج والمناهج القومية من وجوب العناية باللغة العربية ، وانى أعلم ، كما تعلم ، أن الامر لم يكن بالوضوح الذى نريد ، حتى ضاعت عنا أوقات امكان الحزم ؛ زمن يقاس بالسنين العديدة ، وانى لا أريد أن أفجأك ان لخصت ما حصل فى السنين العديدة الماضيات ٠

فقد قيل بامكان تساكن لغتين : « لغة ثقافة » تكون العربية ، و « لغة أداة » تكون الفرنسية ، وفى هذا المنزع ما فيه من الغموض الظاهر ، ومن الفصل المفتعل بين متلازمين لا ينفصلان ٠ فهل يجوز أن نسمى لغة لا تستعمل « أداة » لتلقين فنون التعليم « لغة ثقافة » ؟ وقد نظمت شعبة فى التعليم الثانوى اشتهرت بعنوان « الشعبة الاصلية » ، قالوا انها منطلق تركيز العربية فى التربية القومية ؛ وهو مشروع لم نفلح فيه كما تعلم ، بل انه كان شر المشاريع ، وهذا ليس عنك بخاف ، وهو لا يخفى على كل حال ٠ فقد كان مشروعا غير منسجم فى فلسفة للتعليم مضبوطة الجوانب واضحة الغايات ٠

كان شر المشاريع لأنه خلف فى نفوس المتعلمين ، بله فى عقولهم ــ بلبلة ويأسا ، فقد ظنوا أن التدريس الذى رتب فى « الشعبة الاصلية » المعربة انما أنشىء لضعاف العقول ، وأن التدريس الذى رتب فى الشعب الاخرى ذات اللغتين ، « لغة أداة » و « لغة الثقافة » انما أنشىء لذوى الفطنة كبار العقول ٠ وكان نشاز غريب بين الناشئة التونسية ، مرده الى هذه « الشعبة الاصلية » ذات العنوان النبيل كما ترى !

وتخرج تلامذة هده « الشعبة » على ضعف ارتعنا منه والتعنا ، وهالنا الامر عندما ظن الناس أن الوصمة فى جبين العربية ، وانك تعلم أن ذلك ليس كذلك ٠

وأقبل التلامذة « الاصليون » على الجامعة ، وبأيديهم جواز الدخول ! ولكن الجامعة لم تشرع بعد فى التعريب ! فلا قسم التاريخ كان مفتوحا فى وجوههم ، ولا قسم الجغرافيا ، ولا قسم الفلسفة ، ولا قسم الفيزيا (معاذ الله ان تكتسحه العربية !) ، ولا قسم الحساب (وقاه الواقى لغة الضاد التى خدمت هذا العلم !) فجاءوا الى قسم العربية ، كرها لا طوعا حتى ظن الناس أن هذا القسم « كشكول » يحشد فيه من ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ، وذلك ليس كذلك ، فاعلمه !

فكيف العمل لننهض باللغة العربية فى تونس ؟

القضية معقدة ، وتعقدها كامن فينا ، فهل ننشط لضبط موقف واضح ، بعد أن مرت خمس عشرة سنة على استقلال بلادنا ؟ ان التعقد الكامن فينا نتيجة صدمة الاستعمار ، تمزقت منها نفوسنا جيلا بعد جيل • فكان ما كان •

رجال اعتصموا بالماضي ، ذودا عما بقي من شخصيتنا قائما ، فظنوا أن اللغة العربية ، على ما هي عليه من نقص ، سبيل الى النجاة ؛ ورجال بهرتهم الحضارة الغربية وملكت عليهم أمرهم ، فظنوا أن اللغة الفرنسية سبيل الى النجاة • وفازت تونس باستقلالها ، فمارست مشاكل الاستقلال ، وشرعت فى إقامة أسس ثابتة للدولة ، بالحزم الشديد والعزم الحديد ، ولكن قضية اللغة مازالت الى الآن قائمة ، ونشبت حولها الخصومات والمشاكسات ، فهذا بالتزمت موصوم ، وذاك بالتفرنج متهم ، وذلك « بالتمشرق » معاتب •

فالقصة كامنة فينا ، هى رواسب من أثر الصدمة العنيفة ، والتحليل قد يعالج النفس من أثر الصدمة !

والتحليل يفرض علينا أن نقتنع بان العربية لغة كسائر اللغات ، لابدعا من اللغات ، بغض النظر طبعا عن اعتزازنا بها لغة الكتاب الكريم ، فهى لغة علا شأنها حينا من الدهر بعلو شأن أهلها عندما بلغ منهم رجال حال العلماء ومراتب الاكفاء ودرجات المفكرين ، وهى لغة ضعفت وجمدت بضعف شأن أهلها وتأخرهم • فمصيرها بمصير أهلها : رقيها برقيهم ، ووهنها بوهنهم •

والتحليل يفرض علينا أيضا أن نقتنع بأن الفرنسية ـ أو ما شئت من اللغات الاجنبية ـ لغة كسائر اللغات ، وهى على كل حال ليست لغة قومية لنا ، ولكنها لغة مزدهرة اليوم ، نحب أن نحسنها لنزيد ثقافة سعة وعمقا •

فما هو الموقف الواضح فى مستقبل اللغة العربية بتونس ؟

قال ناس بوجوب التعريب العاجل الكامل فى التعليم على مختلف فنونه ، والدواوين على مختلف أقسامها ، ولاشك فى أن هذه النزعة نبيلة الغاية ، لكنها عزيزة المنال فى العاجل •

وقال آخرون بالابقاء على الفرنسية فى جميع الميادين التى اعتدنا استعمالها فيها ، خشية تعقد الامور ، وحفاظا على حسن المستوى فى تفكير المتعلمين

ومتانة ثقافتهم ، حتى لا تصير التربية الى اضمحلال ، وهذا منزع جعل الناشئة تضيع العربية والفرنسية معا ، وهو ذو خطر سيصبح خطبا فادحا فى الآجل ، وان بدا فيه لبعضهم امكان الجدوى فى العاجل .

والرأى أن مستقبل اللغة العربية لا يكون مزدهرا الا بضبط « تعريب » منسق تحدد « **غايته** » فتضبط **مسالكه** ، وتدرس **وسائله** فتعرف ، وتضرب **آجاله** فتسمى ، على أن الحزم يقضى بالحفاظ على حسن سير التعليم فى فترة التعريب، فلا تحل العربية محل الفرنسية الا فى الاجل المضروب ، فترة ، فترة ، وبعد اتقان العمل الموعود ، والرأى أيضا هو وجوب المحافظة على اللغة الفرنسية فى نهاية المطاف « **لسانا أجنبيا** » له عندنا حظوة ، به نثرى ثقافتنا وعنه ننقل الى أجيالنا ما يفيد من آثار أدبية وفكرية وعلمية ؟ على أن لا تكون للغة الاجنبية ـ أو اللغات الاجنبية ـ أداة فى التدريس والخطاب والكتابة ، وليس لها الا ان تكون أداة للبحث .

* * *

فان قيل ان بلادا عربية فى المشرق والمغرب قد سبقتنا الى ما نريد أن نشرع فيه ، قلنا إن الافادة مما حصل رغبتنا ، ننظر فيه فنقر ما نستحسن ونلغى ما نستقبح ، لان لنا فى المذهب قولا ، لعله أن يكون صائبا سديدا .

أما المشاكل التى ستعترضنا فعديدة ولكنها تحصى ، ومعقدة ولكنها زادت تعقدا بتقدم الزمن وتغير الملابسات منذ خمس عشرة سنة .

فالتعريب هو الحل الأمثل للتخلص من التبعية الثقافية ، وما دونه لا يعدو أن يكون من المسكنات أو الحلول الجزئية .

وهو الحجر الاساسى الحق لاقامة هيكل الثقافة الوطنية المستقلة ، بأصل ثابت وفرع ممتد .

المنجى الشملى

ساعة الاختيار

بقلم : علي العريبي

أثار الاستاذ **البشير بن سلامة** قضية السنة الادبية التونسية ودعا الى الاعتزاز بهذه الشخصية والتشبث بمقوماتها والحرص على سلامتها · ونعتقد ان هذه الدعوة الملحاحة جديرة بالعناية والدرس - ان لم نقل التطبيق - : ذلك اننا - في تونس - تكثر عندنا المشاريع الا انها تبقى في طيات المجلات والملحقات الثقافية ، فهل اقدمنا على تحسين الطباعة ؟ وهل تم التعريب ؟ وهل ٠٠٠؟ وهل ٠٠٠؟

إن الدعوة الى تعميق السنة الثقافية في تونس وردها الى ما قبل الاسلام هي أمر طبيعي ، اذ لا يمكن نكران تراث اجدادنا ، فمن احتقر تراث أجداده ، فقد انفصل عن أمته ، ومن انفصل عن أمته فقد خان الأمانة · وجذور الثقافة القرطاجية ورواسبها لا يمكن أن يجهلها أي مطلع على الحالة الاجتماعية بتونس·

إلا ان هذه السنة الأدبية وان لهجنا بها وسبحنا لها فانها تقف الى ما قبيل الحماية ، أما بعد الحماية بقليل حتى الآن فاننا لا ندرى الى اى سنة ثقافية نحن ننتمي : « هل نحن عرب أم لا ؟ وان كنا عربا فهل نستعمل كل الثقافة العربية قديمها وحديثها الموجودة في الغرب العربي وفي الشرق العربي ٠٠٠؟ » ان الشعور بالشخصية التونسية لدى الفرد التونسي أصبح يتضاءل شيئا فشيئا ان لم نقل انه في طريق الزوال ، فانت تستطيع ان تلاحظ ان المواطن التونسي عندما يقيم خارج وطنه خمس سنوات ثم يعود الى مسقط رأسه فان لهجته تتغير وتتأقلم حسب لهجة البلاد التي كان فيها في حين ان المواطن الجزائري أو المصري يحافظ على شخصيته ومقومات بلاده ، ثم ان نظرت مليا فيما تسمع من الاتجاهات بين الشبان فلا شك أنك واجد خليطا من المشارب ، فهذا منكر لتونسيته متشبث بعروبة خيالية مريضة ، وذاك متأورب ، ونسي المسكين ان أوروبا ترفضه وترفض هضمه ، وبين هذا وذاك يقف جمع قليل متمسك بقوميته ، الا انه يرمى بضيق الأفق والاقليمية كأن المرء لا يمكن ان يعيش إلا ضمن مجموعة كبيرة ·

ان التفتح على الثقافات الأخرى لا ينكره عاقل ، إلا أن الذوبان فيها جريمة في حق الأمة التي ينتمي اليها ، ونعني بالجريمة أنه يعيش بجسمه في هذا الوطن ويعيش بفكره في قارة أخرى .

فالسنة الأدبية لا تجد الحرارة الكافية لتقبلها لان مناخ الشخصية التونسية بارد بل ان هذه المسألة تثير الضحك لدى البعض ، فهم يقولون ـ وما فتئوا ـ ان لا شخصية مميزة لنا .

لقد شوهنا شخصيتنا وذاتيتنا واوقفنا سير السنة الثقافية في بلادنا : ذلك اننا تخلصنا من التبعية الاستعمارية لنقع في التبعية الثقافية ـ بمحض اختيارنا ـ وهي أشد وأدهى .

فكيف نطالب ـ إذن ـ بسنن ثقافية قومية أو نتحدث عنها ؟ ان هذه المطالبة تكون صحيحة لو احسنا الاختيار بين الثقافة القومية العربية أو الثقافة الغربية ، وتكون لها ذاتية مميزة لو خيرنا بين اللغة العربية أو اللغة الفرنسية .

ونعتقد ان نقاء الثقافة القومية لا يمكن ان نحلم به في عصر تشابكت فيه المواصلات ووقع فيه تقريب المسافات بين بلدان العالم بل إنه لم يقع في القديم أيام كانت البلدان منعزلة أو كالمنعزلة ، ولكن نسيان أو تناسي ملامح وطننا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا أمر يدعو الى الحذر واليقظة واعادة النظر في مناهجنا التربوية : ذلك اننا وصلنا الى قمة الحيرة والتنكر للتربة القومية وقطع الصلة بالماضي القريب والبعيد ، ومن يقول من الشباب : « لقد وقف الاسلام (؟) اذن سدا دون الايمان بقدرة الانسان على الخلق » لا شك انك تجيب : بأنه لم يعرف من الاسلام الا معتنقيه المشوهين ، ولا أقصد الدين الاسلامي في هذا المثال وانما هو التنكر المطلق الذي لا يرتكز على منهج ولا على طريقة : هي الثورة العاتية التي سرعان ما تؤول الى خذلان فتشويه للقيم المتواضع عليها فجنون فكري .

قد تقول : ان الحيرة من صفات الكائن المتحرك وانها تبعث في الانسان القدرة على « تجاوز » كل المظاهر التي تعوقه عن السير بحرية . ولكن الحيرة اذا ارتكزت على التحطيم ولم تراع البناء القديم السليم فهي تنكر ورفض لمقومات « السنة الادبية والفكرية القومية » .

قد ترفض اعتناق مبدأ ما ولا تتقبله الا بعد تمحيص وبحث دقيق ، ولكن رفضك الشيء دون النظر فيه هو عناد وتنطع ٠

فهل آن لنا ان نقاوم ما بانفسنا من زيف وتشويه ؟ وهل آن لنا ان نبدأ بتحرير انفسنا قبل ان نطالب بالحرية الشكلية : ان الحرية فى معناها الصحيح ـ كما يقول **محمد مزالى** ـ هى ان نبدأ بتنقية ما بانفسنا من جراثيم فتاكة ، وبعد هذه التصفية المريرة يحق لنا ان نتنسم ريح الحرية فى معناها المطلق ٠

فهلم الى العودة نحو ذاتك وتربتك ، فقد طالت الغربة وأى غربة ٠ وحانت ساعة الاختيار ٠

ع٠ ع٠

مع الفكر الاسلامي :

عقيدة ومعرفة وحضارة

بقلم : الدكتور محمد الحبيب بلخوجة

ما من شيء في هذا الوجود الا له ظواهر تنم عليه وشواهد تترجم عنه · والفكر الاسلامي بمدلوله الواسع العظيم ومَاصَدَقُهُ الفلسفي الشامل يتسنى لاهله ولغير اهله ان يتعرفوا عليه من انفسهم او مما يباشرهم منه ويتصل بهم عن طريقه · ذلك ان آثاره واضحة وبراهينه قائمة ، ومميزاته بارزة وخصائصه ملموسة في كل ما له علاقة او اتصال وارتباط او نسب يشده من قريب او بعيد به ، ويخضعه ان قليلا او كثيرا له · فهو كذلك العملاق الاسطوري الذي لا يمر بشيء الا وضع عليه خاتمه كي يعرف بوجوده او يشعر على الاقل بأدنى ما كان له به من الاتصال او المزاوجة ·

فالظواهر النامة والشواهد المترجمة عن الفكر الاسلامي والآثار الواضحة والبراهين القائمة والمميزات البارزة والخصائص الملموسة التي نجدها في أقطار شعاعه تبرز كلها في المقومات الاصلية والعناصر الاساسية له ، وهي ثلاثة : العقيدة والمعرفة والحضارة ·

اما العقيدة وهي الركن الاول ، فهي ايقان بالوحدانية واعتراف بالنبوة وتمسك بالوحي وحذر وارتقاب ليوم الحساب · قال تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا · وقال جل وعلا : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله · وقال جل ذكره : قل يحييها الذي أنشاها أول مرة · وهذه العقيدة الخالصة السمحة تركز في المؤمنين المعرفة الكاملة ، تحضهم على الخير ، وتذود عنهم الغوائل ما ظهر منها وما بطن · فهي مدد النفس الطاهرة تحمل على المراقبة وتعين على الملاحظة وتحث على التدبر وتدفع الى الاجتهاد والمجاهدة بصورة تنفي عن معتنقيها كل الشرور والاوهام وتهدي الناس لما اختلفوا فيه من الحق ·

وعقيدة كهذه تعتمد الدليل الكوني ودليل العلة الغائية والدليل الوجودي

على صدقها لاعجب ان تنال التقدير والاكبار على ما فيها من عمق ولها من ابعاد، فيشهد لها جوت ومثاله بكونها القوة المهذبة المؤدبة وذلك حين يقول : « انت ترى ان هذا التعليم لا يخفق ابدا ، ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع بل اقول بوجه عام ان احدا من البشر لا يستطيع ان يذهب ابعد من هذا » ٠

فهو التعليم الالهى والتلقين القرآني والشحذ العقائدى للفكر الاسلامى الذى يجد من عقيدته هذه ركيزة جليلة ثابتة يعتمدها مدى الدهور فيكون له بها الخلود ويكتب له بها الاشعاع السرمدى المتجدد ٠

وتساند العقيدة الدعامة الثانية الاخرى وهى المعرفة وتستمد هذه اصالتها ونضجها ، قوتها وطاقات التنوير والهداية الممتزجة بها والملابسة لها ، من القرآن ، وهو كلام الله (الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ٠ ثم من السنة وهى اقوال النبىء صلى الله عليه وسلم وافعاله الكريمة التى بها ائتساء المسلم ، وعليها مدار سلوك المهديين من العلماء العاملين والائمة المجتهدين والاولياء الصالحين الذين باعوا انفسهم لله رب العالمين ، فقد تولدت عن هذه المعرفة خشية قال تعالى : انما يخشى الله من عباده العلماء ، وتولدت عن تلك المعرفة علوم كانت شغل الباحثين وعمل الدارسين وقصد الذاكرين والمتأملين ٠ فتأسست ، من اجل استكشاف الحقائق وضبطها واستخراج الاحكام وتجديدها واستمداد الهدى الدينى والحكمة الالهية والمعانى المختلفة المشرقة والموجهة الى طريق الله ، آداب وفنون وأذواق وفهوم وصناعات وعلوم تمايزت مع كثرتها على ضربين واختلفت الى نوعين من وسائل ومقاصد ٠ وصنفت فى ذلك الالوف من المصنفات والتآليف تقوم على التحليل والتدقيق وتستخدم فى طرائقها ومناهجها التوجيه الشرعى والعقلى معبدة بذلك سبل المعرفة ، ومهيئة للفكر الاسلامى انبثاقه الكامل واشعاعه الساطع حتى لا يضعف ولا يريم ٠ واتسعت بذلك المدارك ، واذن الفكر الاسلامى بالتجربة ، وقام بها وتفتحت آفاقة فوسع المعارف الحضرية والآلية وشمل الفلسفات الهندية والهيلينية ، وخاطبه القرآن داعيا الى الجد ، مهيبا به الى استخدام العقل وتسخير كل ما يحيط به من عوالم واجرام وطاقات واكوان ، ممتنا عليه بتلك النعم الكثيرة فى قوله عز وجل « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ٠ وقوله تعالى : وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ٠ والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ٠

وقد كان من آثار تلك العلوم الشرعية واللسانية والطبيعية والرياضية والحكمية والفلسفية نشوء الثقافة الاسلامية وتطورها على الوجه الذى عرفته الازمنة الزاهرة من تاريخ الحضارة الانسانية فى عهد الدولة العباسية ، وكان لها وما يزال الفضل فى توجيه العقل الانساني والبلوغ به الى ما هو سائر نحوه من تقدم مطرد وذلك بالخطوات الثابتة الاولى التى كشفت له عن المنطلق والتى أمنت معه المزالق ، اذ كانت الثقافة الاسلامية فى طلبها للدنيا خاضعة للدين وفى بحثها عن الحق واخذها بآداب الشريعة غير معرضة عن الدنيا ولا منصرفة عما خول الله من خير وافاض على عباده من نعمة ·

والى جانب تينك الدعامتين الاساسيتين للفكر الاسلامي اللتين دعوناهما العقيدة والمعرفة تقوم الدعامة الشامخة الثالثة الناطقة بروائعه والشاهدة بفضله والذاكرة لآياته والمذكرة بما قدمه للانسانية من خدمات وما طبع به ردحا من الزمن معالمها وآثارها من خصائص ومميزات كاشفة عن سماته · وما تلك الركيزة الفارعة والدعامة الثالثة غير الحضارة الاسلامية التى انارت شموسها الآفاق وجابت تياراتها الالهامية البلاد ، فعمت الربوع والاصقاع ومست الاجناس والالوان ودخلت تحت سلطانها الامة العربية باسرها والوحدات الثلاث الاخرى من العوالم الايرانية والطورانية والهندية · فكانت آداب وفنون ومعالم ومآثر وعادات وسلوك مع رقة مشرقية وفلسفات عمرانية واشراق ونور ، حيث لا اشراق ولا نور · تشهد لذلك نظم الحياة واسباب العيش والمؤسسات والاجهزة المتوفرة بحسب ذلك الزمان للحياة المدنية ، وما كان يحتاجه المرء بل وما يشرف به حتى اليوم بما تطورت أشكاله ونمت طاقاته واختلفت هياكله ، وان كان مرده الى أصل ثابت انكشف من قبل للفكر الاسلامي وانتسب منذ قرون للحضارة الاسلامية · وقد كتب فى التعريف بذلك القدامى والمحدثون من اهل الملة وغيرهم فلم يتركوا لقائل مقالا واغنوا بما ضبطوا وحرروا عن مواصلة الدرس والتنقيب عن اصول تلك الحضارة الشامخة التى قامت كما يقولون بدورها وادت للانسانية رسالتها ومضت فى الخالدات كغيرها من الحضارات · ونحن لانعود فى هذه الكلمات الى ذلك الماضى معجبين ولا متاسفين ، مفاخرين او مبهوتين ، ولا نقف عند حاضرنا هيابين ولا مشفقين ، قانعين ولا كلفين ، وانما يعنينا فى المحل الاول التذكير بكلمة (grousset) وهو يؤرخ لآسيا حين يقول : ولا بدع ان يعود الاسلام قوة عارمة وسلطانا قويا لاننا بتتبع مراحله واطوار منشآته ودوله قد لمسنا فيه طاقتين عجيبتين هما التجدد والخلود · ومن تكن له مثل تينك الخاصتين

لا يفنى ولا يبيد · ولعلنا بالرجوع الى دعائم الفكر الاسلامى الثلاث العقيدة والمعرفة والحضارة نتمكن من استجلاء تلك الطاقات فنفيد منها ونتايد بها ونتمكن بالجهاد الاكبر وما يتطلبه من بذل وحزم من تدارك الاوضاع وتحويل مجريات الامور الى ما فيه عز الاسلام والمسلمين وبعث القدرات والطاقات على مسايرة العالم الحاضر فى تقدمه الفكرى وسلطانه العلمى وتطوره الحضارى ، بما يكتب لهذا العالم المتخلص حديثا من التبعية والهوان من قوة ينهض بها وفكر يسدد خطاه وعقيدة توازن بين طاقاته وميوله ، مقاصده وشهواته ، فلا يضل بعد ذلك ولا يخزى ·

م· ح· ب·

صدر عن الدار التونسية للنشر :

بوغرطة

تأليف : محمــد فنطــر
تقديم : البشير بن سلامة

مجهود محمود هذا الذى تقوم به الدار التونسية للنشر فى تكوين المكتبة التاريخية التونسية فعلاوة على الوثائق والمخطوطات التى برزت الى العيان فى هذه السنوات القليلة ركـزت هذه المؤسسة جهـودها على المساهمة فى حث المؤرخين التونسيين على نشر تآليف بأتم معنى الكلمة فى تاريخ تونس القديم والحديث بالعربية والفرنسية ٠

وبعد ان ظهر فى السنة الفارطة للاستاذ محمد فنطر كتاب قرطاج بالفرنسية ها هو يطلع علينا بكتاب ثان بالعربية يتناول شخصية يوغرطة الفذة ٠

والكتاب من القطع الكبير يحتوى على 300 صفحة فى حروف واضحة وورق صقيل ٠ قدم له الدكتور محمد الحبيب بلخوجة الرئيس المـدير العـام للدار التونسية للنشر كما قدم له صاحبه مبينا أهمية التـاريخ فى تنمية القومية والوطنية معللا اختياره ليوغرطة ٠

ولعل الذى يستوقف القارىء أول ما يستوقف هو أن محمد فنطر الباحث الأثرى المعروف عالميا فى حقل الآثار بدراساته العلمية ومقـالاته الموضوعية يكتب كتابا عن يوغرطة مبسطا غاية التبسيط فى متناول جميع الطبقات القارئة من دون أن يمس بالروح العلمية فى منهجه ومحتواه وتكون الغاية من تأليفه هى خدمة فكرة عزيزة عليه ألا وهى غرس حب الوطن فى النفوس بالتـاريخ وتعميق روح القومية بدراسة هذا الفن من المعرفة ٠

يقول القائل أين الموضوعية العلمية إذن ؟ وأين التاريخ فى أجلى معانيه ؟

وأين حب البشرية من هذا كله في عالم يتوق الى أن يتعاون ويزيل الحواجز الموجودة بين مختلف سكانه ؟

أظن أن هذا هو صلب المشكل الذي يقلقل ضمائر علماء التاريخ وأساتذته في ديارنا : هل نجعل من التاريخ في تونس مادة غايتها غرس حب الوطن ، حب تونس أم أننا نعتبره من العلوم التطبيقية التي لها قوانينها الشاملة مثل الفيزياء والكيمياء وهو مطلب عسير لا أظن أن مادة التاريخ الخاضعة للاحداث التاريخية في تقلبها وارتباطها بالنفس البشرية وتعقدها يمكن ان تصل يوما الى ضبط قوانين مسطرة يقع اختبار صحتها في كل زمان ومكان ؟ ذلك أن المؤرخ هو مؤول للأحداث قبل أن يكون عالما ٠

التاريخ من أول البشرية الى اليوم يخدم فكرة فهو إما للاعتبار ومعرفة أحوال الناس وغايته اخلاقية وإما لتعليل الاحداث بالاعتماد على العوامل الفردية السياسية أو العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية ٠ وبعبارة أوضح فان التاريخ لا يمكن أن يتصور بدون فلسفة للتاريخ ٠

وإذ كان تدريس أو درسة التاريخ تخضع لفكرة فالمشكل إذن مشكل اختيار لهذه الفكرة ٠ وبما أن المؤرخ في بلاد متنامية مثل بلادنا له دور يجب أن يقوم به ولا يعقل أن يكون على هامش مجتمع هو في أشد الحاجة إليه فمن باب أولى وأحرى أن يتمثل هذا الدور في الذود عن كيان الأمة التي ينتمي اليها وفي المساهمة في رفع كابوس الاستعمار الثقافي المذيب لشخصيتها كما ساهم في زحزحة نير الاستعمار السياسي ٠ والاستعمار في الواقع كل متكامل اذا بقيت رواسب من رواسبه في أمة أصيبت بنكسة طال الزمان أو قصر ورجعت الى ما كانت عليه من عبودية وذل ٠

وليس هذا من باب المغالاة في حب الوطن الذي يقود الى مناوأة الشعوب الاخرى لأن ذلك لا ينشأ ولا يخشى إلا من أمة قوية عزيزة منيعة لا تشكو آفة من آفات التخاذل والانحطاط ٠ أما بالنسبة للشعوب المتنامية التي أزالت نير الاستعمار وجسمها ما زال يشكو أمراضا عديدة فمن الطبيعي أن تنكب على معالجة هذا البدن حتى يمكن لها أن تتعامل وتفيد شعوب العالم الاخرى ٠

وهذا الذي دعا محمد فنطر الى أن يقول : « إن التعاون الحر المثمر ميدان لا تلجه إلا شعوب آمنت بقوميتها أي بذاتها كعامل فعال يساهم في سبك الحضارة البشرية » ٠

وهكذا فانه لا مناص فى هذه الفترة من أن تكون غاية التـاريخ فى بلادنا غرس حب الوطن وتعميق روح القومية من دون أن نمس بالموضوعية التاريخية من حيث صحة الاحداث والمحافظة على سلامتها من كل تزييف وتغليط ٠

ويمكن أن يكون يوغرطة الذى اختاره محمد فنطر ليقص علينا حياته الزاخرة بالاعمال رمزا لهذا المثقف الذى آمن بقومه وخاف عليهم من الاستعمار فانبرى يكافح من أجل حريتهم حتى آخر رمق من حياته ٠

يوغرطة الذى تغذى بثقافة رومة علاوة على ثقافته القومية اللوبية البونقية وعرف أهلها وحذق لغتها واندمج فى أوساطها لم يتفسخ ولم يذب فى رومة بل حافظ على إفريقيته وصدع بتلك العبارة التى بقيت ترن صدى من أصداء التاريخ :« إفريقية للأفارقة » ٠ ولقد فهم وهو أقرب الناس الى رومة روحها الاستعمارية وكان من الممكن له وقد تحصل على ملك عظيم ان يكسب ودها وهى القوة الجبارة آنذاك القاهرة لحنبعل وقرطاج ولكنه عرف الخطـر الذى يحـدق بافريقية كلها وهو ما لم يفهمه مسنيسا عندما تحالف مع رومة ضد قرطاج فأبى على شعبه أن يؤول به الأمر الى العبودية فشنها حربا لا هوادة فيها ٠

ولقد حاول محمد فنطر أن يخلص بموضوعية تامة هذه الشخصية الفذة مما لوثها به المؤرخون الرومان وفند الكثير من تأويلاتهم وشكـك فى بديهيـاتهم فأتى كتابه تاريخا منصفا لرجل لم يكن من ذنب له إلا الدفاع عن حرية قومه فى ظرف تطور فيه الاستعمار وأخذ شكلا فظيعا ٠

وعلاوة على ذلك فقد برز الكتاب فى ثوب قصة مشوقة سهلة لم يتوخ فيها صاحبها الاساليب البلاغية ولا المحسنات البديعية بـل هى لغـة خـالية من التصنع ، أدبية إن شئنا ، فى نفسها ، ولكن جوهرها ينبنى على روح علمية تروم الدقة والضبط ٠ ولهذا فان القارىء العربى يصطدم بتراكيب غريبة شيئا ما عن المألوف وبعبارات قليلة الاستعمال ولكنها عربية أخرجها المؤلف ليدل بها على مفاهيم جديدة فأتى كتابه سهلا ليس فيه من غاية إلا خـدمة المـوضوعية التاريخية من أجل عزة الوطن ٠

البشير بن سلامة

عزالدين المدني يرد :

رسالة مفتوحة

الى السيد الفاضل رئيس تحرير مجلة « المثقف العربي »
(بوزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية)

تحية عربية خالصة ،

سمحت لي الظروف في الايام الاخيرة بان اطالع مجلتكم (المثقف العربي) ذات المستوى الفكري الرفيع ، ولا سيما عدد (آذار) من هذه المجلة التي نرجو ان توزع التوزيع الكبير الشامل في كافة الديار العربية .

كما اني اطلعت بالمناسبة على ركن « **شهريات الوطن العربي** » الذي جاء في نفس العدد .

وقبل كل شيء ، انتهز هذه الفرصة السعيدة لأشكركم على ما تقومون به في سبيل التعريف بالادب التونسي الحديث في مجلتكم الرائدة ، بوصفي احد المساهمين في هذا الفرع من الادب العربي اليوم عامة .

الا ان لي ملاحظات اريد عرضها عليكم وعلى قراء مجلتكم في الجمهورية العراقية الشقيقة .

كتب صاحب المقال عن ادب تونس في ركن « **شهريات الوطن العربي** » يقول : (ص 158 / 159) .

« اتيح لنا الاطلاع على ثلاث قصص لكتاب تونسيين شبان ، والقصص هذه تبرز للاذهان مرة اخرى ان الادب العربي واحد ، وان مشاكله وهمومه ولغته الابداعية واحدة في اية مرحلة من المراحل » .

ونحن نعتقد من جهتنا أن الأدب التونسي بحكم انتسابه للحضارة الاسلامية واقترابه من منابع الثقافة العربية واسهامه الفعال فيها عبر أدوار تاريخه واشتراكه اليوم في مصير الأمة العربية يعتبر رافدا من روافد هذا الأدب

الكبير كالرافد العراقي والرافد المصري إذ لكل واحد من هاتيك الروافد خصائص وعلامات ولو أن اللغة واحدة والأغراض متشابهة والاهتمامات متماثلة ٠

ثم يستأنف القول مستعرضا انتاج كاتب هذه السطور فيذكر :

« وملامح هذا الكاتب تقرب من ملامح جمال الغيطاني وابراهيم اصلان في مصر وزكرياء ثامر – احيانا – وحيدر حيدر في سوريا ، وجمعة اللامي في العراق ، وانه غير خارج عنا مطلقا ، ولكن قربه للادب الفرنسي يظل واضحا بما وضع في القصة من الرسوم والحروف التي كان من الممكن رفضها دون ان تؤثر على القصة ٠ وقد يكون وضعها نوعا من المجاراة للموضة الجديدة في القصة الفرنسية » ٠

ردا على هذا ، اقول باني لم اطالع الا القليل من قصص الاخوان الشبان في مصر وسوريا والعراق ، وذلك من خلال مجلة « الهلال » المصرية وبعض الاعداد من « جاليري 68 » المصرية ٠

ومن الاسف اني لم اتمكن من مطالعة انتاج جمال الغيطاني وابراهيم اصلان وزكرياء ثامر وحيدر حيدر وجمعة اللامي كي اعرف القاسم المشترك الذي يجمع بيني وبينهم من جهة وبين الكتاب التونسيين الشبان وبينهم من جهة ثانية ٠

ولعل عدم التمكن هذا يعزى الى الانخرام الملحوظ في توزيع الصحف والمجلات والكتب بصفة متبادلة بين كافة اقطار الامة العربية ، مع الملاحظة الاكيدة اننا نحن في تونس نعاني من هذا الانخرام كما يعاني منه ادباء العراق ايضا (كما اشار الى ذلك صاحب المقال) ٠

واني انادي الزملاء في الوطن العربي ان يعقدوا مؤتمرا من اجل الاتصال المباشر بينهم جميعا ، وللتباحث في شان القصة العربية الحديثة ، ولتبادل التجارب والخبرات في هذا المجال الفكري والفني حتى نستطيع رفع الحواجز التي ما انفك الاستعمار ، والامبريالية ، والحزازات السياسية بين عدد من البلدان العربية اليوم ، تدعمها وتعززها للتفرقة بين الاشقاء العرب ، وبالخصوص بين المفكرين والكتاب والشعراء في كافة انحاء البلاد العربية ٠

وليس الهدف من عقد مثل هذا المؤتمر كسر الحواجز والاطر الحديدية التي تكبلها من كل جانب فقط بل يرمي ايضا الى ازالة سوء التفاهم ، وربما التجاهل

بين الكتاب العرب ، وبالخصوص القطيعة المفروضة التى الاحظها بمرارة بينهم جميعا (رغم المؤتمرات الادبية الرسمية والبروتوكولية التى تنعقد بين السنة والسنة والتى لا تفضى فى اغلب الاحيان الى امور بناءة !٠٠٠)

وانا اود ان اعرف القصة العراقية القديمة والحديثة ، وان اعرف عن كتب روادها ، والقائمين بها اليوم ، وان اعرف اتجاهاتها المختلفة ، وقدر ايرادها ، وحجم تأثرها بالتيارات القصصية فى العالم — شكلا ومضمونا واتجاها — حتى اذا ما وقعت فى يوم ما مجموعة قصصية عراقية بين يدى لا اقول انها تجارى بعض الموضات الادبية فى اوروبا الغربية كما قال عنى ذلك صاحب المقال ، بل : لادرك التطورات القصصية العراقية واتتبع بدراية واعية ما يمكن لها ان تقدم للوطن كله من زاد ايجابى ، اذ هى نابعة من واقع عربى ، ومنعكسة عليه » ٠

واذا تم لنا ذلك بصفة متبادلة ، فلسوف نكون رافضين لكل رجم نقدى للقصة العربية الحديثة — مهما كان نوعها — واعين لقضايا خالقيها ، مدركين اعمق الادراك للاوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التى يعيش فيها هؤلاء الخلاقون المبدعون فى اى قطر من اقطار الامة العربية ٠

وانه يكون من سداد الراى بالنسبة لكل ناقد عربى فى اى قطر عربى — ان يكون ملما — على الاقل — بما اسلفنا من القول ، وذلك حين يعمد الى نقد انتاج قصصى عربى من بلد عربى آخر ٠ والغاية من ذلك الا يقع فى التأويلات غير المجدية ، وفى المغالطة ، وفى الانحياز لآراء قبلية ، وكى لا يستند الى معلومات قديمة لا علاقة لها بحاضر الامور ومستقبلها ٠

لقد قرأت « **موسم الهجرة الى الشمال** » للكاتب السودانى الطيب صالح ، فوجدت فى هذه الرواية اهتمامات كثيرة بالمسائل الجنسية ٠ فهل يصح لى ان اقول ان الطيب صالح يجارى الموضة الجنسية المنتشرة اليوم فى البلاد الغربية وانه يقلد بالتالى كتابات « **دافيد هربرت لورنس** » و « **هنرى ميللر** » و « **جورج باطاى** » ؟

وقرأت أيضا عددا من القصص الجديدة فى احد اعداد « **الهلال** » المصرية ، فوجدت فيها اهتماما بالغا بالشكل ٠ فهل يعنى ذلك ان اصحاب هذه القصص يجارون موضة الرواية الجديدة الفرنسية التى يكتبها « **روب غرييه** » و « **ميشال بيطور** » و «**صامويل بيكيت** » و « **روبير بانجى** » وغيرهم ؟

فالمسألة — اذن — تنحصر فى اغلب رايى — لا فى مجاراة الموضات او القرب

منها او التقليد لها ــ وانما فى معرفة الواقع الذى نجم عنه الاثر الادبى المدروس معرفة مدققة مع ما يحيط هذا الواقع من اوضاع ، ومشكلات ، وملابسات ، وتأثيرات ٠

والمسألة تتجسم ــ ثانيا ــ فى اقامة الدليل البين والقاطع من قبل صاحب المقال على ان كاتب هذه السطور وزميليه سمير العيادى وابراهيم بن مراد يجارون فعلا الموضة الجديدة فى القصة الفرنسية ٠

اما قول صاحب المقال : « **لكن قربه للادب الفرنسى يظل واضحا بما وضع فى القصة من الرسوم والحروف التى من الممكن رفضها دون ان تؤثر على القصة** » ٠ فهذا الحكم الجازم يحتاج الى نظر والى مناقشة ايضا ٠

لقد استعمل السرياليون الفرنسيون ، ومن قبلهم رواد المذهب المستقبلى الروسى والايطالى فى مطلع القرن العشرين ، احجاما شتى من الحروف وبكيفيات مختلفة فى كتاباتهم الشعرية وفى رسومهم وصورهم ، واخص بالذكر منهم الشاعر « **قليوم ابولينير** » ٠

ولئن **استعمل** كاتب هذه السطور فى قصته احجاما شتى من الحروف ، وانواعا من الرموز ، وصيغا من العلامات ، وبكيفيات مختلفة فان الهدف الذى يرمى اليه يختلف تمام الاختلاف عن الاهداف التى كان يقصدها السرياليون الفرنسيون ورواد المذهب المستقبلى الروسى والايطالى ٠

ومن هنا تتبين ان الحكم الجازم الذى اصدره صاحب المقال ليتضمن نظرة نقدية غير مركزة تعطى الاولوية لمسائل التأثير والتأثر فى الادب والفكر وتفضلها على غيرها من المسائل الجوهرية ٠

واغلب الراى ان صاحب المقال لم يعتبر القصة كوحدة فنية متكاملة المضمون ، منسجمة الشكل ، متفاعلة ومتجادلة بين مضمونها وشكلها ، بل لم يتسرب الى داخل العلامات والرموز والصور ، وانما ظل يحلق فوقها جميعا وينظر اليها من صومعته الباسقة !٠٠

واما فيما يتعلق بالصور الموجودة فى القصة ، فان وضعها كان مستندا الى عدد من المستويات الفكرية والاهتمامات الشكلية التى تخدم المضمون وتزيده حدة ووضوحا ٠ والعكس بالعكس صحيح فى هذا المقام ٠

وهذه المستويات هي :

أ) علاقة المساحة الكتابية بالصورة ·

ب) وظيفة الصورة داخل هذه المساحة المكونة من العلامات والرموز : أهي تجسيم للمساحة وبيان لها أم تتمة لها بدون حاجة الى بيان ؟

ج) ايهما اقدر على التعبير الفني واقنع واجدى بالنسبة للقارىء : الحرف ام الصورة ؟ او انهما مختلفان اذ لكل منهما وظيفة وتعبير خاص به ، وبالتالي قطع العلاقة التى تربط بينهما ·

د) استخراج « الصورة الجامدة والكامنة » من ذهنيات الطبقات الاجتماعية وتشريحها ·

ه) العمل على انتاج « **أدب فن** » كامل ، حيث يمتزج الادب (بمفهومه التقليدى) بالفن (بمفهومه التقليدى ايضا) لكن بنظرة متفاعلة مجددة ·

ولو قام صاحب المقال بحذف الرسوم والصور من القصة لاختلت الوحدة الفنية فيها · وليجرب ذلك ·

ولا ادرى ماذا يعنيه صاحب المقال حين يقول : « **اما سمير العيادى فهو اقربهم الى القصة المحافظة والجديدة ايضا لا سيما فى اللغة مع محاولته اضفاء روح من الفولكلورية على اجواء قصصه** » ·

فهذا فى رأيى حكم متناقض ومتعسف · فكيف يلائم الفنان بين المحافظة والتجديد ؟ ولا سيما فى اللغة الفصحى ؟ ! ولبيان هذا الحكم ، يورد صاحب المقال قطعة من قصة « **المفكر اذ يفكر** » ، واذا بها من نوع السرد القصصى التجديدى ، واذا باسلوبها سلس اللفظ ، متعمق المعنى ، قد نسج فى جمل فعلية قصيرة توحى بحركة مطردة متصاعدة ، المصطلح عليها فى الموسيقى « بالكريشندو » فاين هذا من الاسلوب التقليدى والمحافظ الذى يتحدث عنه صاحب المقال ؟

وانى لا اريد ان اقف عند الجزئيات التى ذكرها فى المقال لان ذلك يتطلب كثيرا من الوقت والشرح ، ودراسة عن قضايا القصة التونسية بصفة عامة ·

وهناك ملاحظات متناقضة لا بد لى من اثارتها وهى تتلخص فى ان صاحب

المقال يقول عند الحديث عن كل كاتب : « **انه لا يبعد عنا** » و « **ان همومه هي نفس الهموم الموجودة لدينا** » و « **ان ملامح فلان تقرب من كتابنا** » فكان صاحبنا يخشى كل الخشية ان يبتعد الكتاب التونسيون عن زملائهم المشارقة ، او كانه لا يوجد لهم قيمة ادبية وفنية وفكرية الا اذا ذكر اسماء الكتاب المشارقة ، واعتمد عليها وبالاحرى كانه يستنقصهم حين يقول : « **ان همومهم هي نفس الهموم التي طغت على قصتنا بعد فترة الخمسينيات** » مؤكدا بذلك الفارق التاريخي وبالتالي ـ حسب اعتقاده ـ تاخر القصة وبعض انواعها في تونس عن القصة في المشرق العربي شكلا ومضمونا واتجاها ٠ كيف اصف هذا الحكم ؟ اني لا اتردد بان اقول انه نرجسي !

نحن نستطيع في تونس ان نقوم بنقد بعض القصص العراقية وان نرجعها الى روادنا في القصة وان نلحق مصادر الهامها الى كتابنا ٠ لكن سيكون عملنا هذا حيفا ٠

والأدهى من كل هذا ان صاحب المقال بعد ان يذكر في المقدمة اننا نرجع بانتاجنا الى العروبة عامة (وهذا لا ننكره) والى الكتاب المشارقة (وهذا نشك فيه كثيرا) الذين ذكرهم خاصة يقع في تناقض فيرفضنا رفضا في الخاتمة ويحقد علينا ويشتمنا فيقول :

« **وعلى الرغم من التجديد في الشكل وطرح مضامين معاصرة ، فان القصص الثلاث لم تكن قصصا من انجاب كتاب مسؤولين متشبعين بالطموحات الانسانية ، بل هي انعكاس امين لهموم الادباء في المجتمعات الراسمالية المتقدمة الذين ينصرفون وراء التقاليع اكثر من انصرافهم وراء المواقف الانسانية** » ٠

فهذا الحكم باطل من اساسه ٠

1) ان صاحب المقال لم يذكر التجديد الذي جاء في اشكال القصص الثلاث بصفة بينة ٠

2) انه لم يبرز في مقاله الاغراض المعاصرة والمضامين الحديثة التي جاءت في هذه القصص الثلاث ٠

3) انه لم يقرأ فيما يظهر من انتاج القصاصين الثلاثة الا نصوصا قليلة ومحدودة ٠

4) ان « **المسؤولية** » التى تحدث عنها قد ظهرت فى انتاجاتهم وكذلك فى القصص الثلاث المذكورة ، وكذلك الشان بالنسبة للطموحات فلينظر من جديد فى القطعة الاولى التى أوردها فى مقاله ·

5) ان هؤلاء القصاصين يرفضون التبعية الفكرية والفنية الغربية والرأسمالية · وقد اعربوا عن ذلك المرار العديدة فى اثناء المحاضرات والندوات والملتقيات ·

6) انهم يرفضون التقاليع الغربية ، ويقولون عن ذلك : انها من الامور العرضية التى لا تهم الا لعالم الغربى الرأسمالى · أما أدب البلاد المتخلفة والسائرة فى طريق النمو فهو صادر عن واقعه المحض ·

7) ان صاحب المقال لا يفرق بين الفولكلورية والواقعية النقدية ، خصوصا حين تعرض الى قصة « **المفكر اذ يفكر** » فليس كل من تحدث عن القرى والريف والدجاج والبغال والحمير ويصف ذلك لغاية مقصودة ومدبرة ، يمكن نعت أدبه بالفلولكورية · فالحكم الذى سلطه صاحب المقال على هذه القصة غالط من الاساس وينم عن ضحالة فى التفكير النقدى لديه ·

وبعد كل هذا نحن نستطيع ان نستنتج اكثر من هذه النقاط السبع فنزيد عليها نقطة جاءت مبيتة فى المقال · وهى محاولة لدعم نظراته النقدية لنظريات ايديولوجية مضبوطة لا تخفى على أحد · · ·

وانى اوجه الى صاحب المقال محاولة دراسية للقصة التونسية فيما بعد الاستقلال كتبها الاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة « الفكر » حتى يطلع عن كثب على التطورات التى طرأت على القصة التونسية واكسبتها ثراء وقوة وانطلاقا دائما نحو الامام ·

وهل يلبى كتاب العراق اقتراحى ؟

ع· م·

"Z"

شعر :المنصف الوهايبي

(معنى هذا الحرف عند قدماء اليونان : إنه ما زال حيا)

ـ الصّوت الاولّ :

كان يقولُ على رأسِ الشّاهِدْ :
سلطانكُمُ كالثّورِ الإسباني
يكرَهُ أن يغشى عينيه اللّونُ الاحمَرْ
ينسَى أنّ الثّورَ الموهنَ يسقطُ في السّاحَهْ
يلعَقُ في صمتِ المهزومِ جِراحَهْ

ـ الصّوت الثّاني :

كانَ يقولْ
العنفُ سلاحُ الفقرَاءِ المسلولْ
وعدوّ الزّيفْ
لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديْهِ ولا مِنْ خلْفْ

ـ الصّوت الثّالث :

إنّني أذكرُ يا مولايَ ما قالَ لنَا ذاتْ مساءْ :
هؤلاء الكَادِحونَ البسطاءْ
يصنعُونَ الجنّةَ الخضْرَا
وليسَ الانبياءْ

ـ الصّوت الرّابع :

وكانَ يحفزُ الدّهمَاءَ للثّوْرَهْ
يقولُ لهُمْ : حقولُ القمْحِ مسروقَهْ
وهذي أمّ دَفْرٍ في الرّقَابِ
تحكّمُ الاذنابَ والسّوقَهْ

ـ الصّوت الخامس :

الشّعراءُ المهزُومُونْ
لا يتبعُهُمْ إلاّ الغاوونْ
كانوا أدرَى باللّعبَةِ واللاّعِبْ
لكنّهُمُ تركُوا الحبلَ على الغارِبْ
ولذا صلّيتُ على الشّعرِ صلاةَ الغائِبْ

السّلطان (تعليق) : « بلغتْ شمسِي رأسَ الحَائِطْ »
وأنَا ظلّ الله على الارْض
أحكُمُ بينكُمُ بكتابِ الله
أجريتُ الحَقّ على القاصِي والدّاني
فصلبتُ على بابِ السّورِ المارِقْ
وجلدتُ الزّاني
وقطعتُ يدَ السّارِقْ

ـ الشاعر (تعليق) :

وُلِدَ الموتُ بِدَاخلِكمْ
ومِنَ الدّاخِلِ يبدأ رِحلتَهُ المعهودَهْ
يخرُجُ من كلّ بيوتِ القرْيَهْ
لا يحمِلُ سيْفا ... لا يحمِلُ رايَهْ

يتمرّغُ فِي الوحْلِ وفي السّاحاتْ
يحبُو كالطِّفل على الطّرقاتْ
ينبتُ كالازهار البرّيّةِ في الكلماتْ
يُوأدُ أحياءُ القريةِ ينهضُ كلَّ الامواتْ
يا مكبُوبَ السّعدِ ويَا سعْدَ المكبُوبْ
العالَمُ نقّالَةُ موتَى
والشِّعْرُ حذاء مثقوبْ
لَنْ تهربَ من قَدَرِ المهزومينْ
فاقبعْ في الظّلمةِ أو هَاجِرْ
فالسمّانُ الطّائرْ
يسقُطُ في شبكاتِ الصّيّادينْ
بدأ الموتُ من الدّاخِلْ
رُفِعَ المفعولُ بِه نُصِبَ الفاعِلْ
واختلط الحابلُ بالنّابِلْ
لا تلعنْ هذا الزّمنَ اللاّ معقولْ
أنتَ القاتل والمقتولْ .

ــ السّلطــان :

لا يصلح جِلدُ الشّاعِرِ إلاّ بِالجَلْدْ
لا يصلحُ جلْدُ الشّاعِرِ إلاّ لِلْجلْدْ

ــ الشّاعر :

مـا دامَ العالَمُ مقلُوبْ
يتساوى فيه السّالبُ والمسلُوبْ
تنمُو الازهارُ إلى أسفلْ

تتدلّى أغصانُ الزّيتون إلى أعْلَى
وأسيرُ أسيرُ على رأسيَ المثقلْ
فَأنَــا أتحدّاكَ إلَى آخرِ سَاعَهْ
وأشقّ عليكَ عصَا الطّـاعَهْ .

— أصواتْ :
الشّاعرُ مَــاتْ
فلتخفتْ كلّ الاصواتْ
الشّاعرُ مــاتْ

— (صوت الشّاعر من جديد) :
رغمَ أصوات الإ دانَـهْ
لن يخُونَ الحرفَ يوما لن يخونْ
وجباهُ النّاس تندى بالخيانَهْ
شاعر يُبْصِرُ مَــالاَ تبصرونَ
مثل زرقــاء اليمــامَـهْ
يتحدّاكُمْ إلَى يوم القيامَـهْ ... م. و.

باريس — تونس — أوت 1970

(*) زرقــاء اليمــامة : ... هي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيّام . فلمّا قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسّان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم ، وجهّز إليهم جيشا فلمّا صاروا من جوّ على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزّرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أمروا أن يحمل كلّ رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليهـا. فقـالت : « يا قوم قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير » فلم يصدّقوها . فقـالت على مثـال رجز :

أقسم بالله لقد دبّ الشجــرْ أو حمير قد أخذتْ شيئا يجرّْ

فلم يصدّقوها فقالت : « أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهس كتفا أو يخصف النّعل » فلم يصدّقوها ولم يستعدّوا حتّى صبّحهم حسّان فاجتاحهم فأخذ الزّرقاء فشقّ عينيهـا ...
الميداني — أبصر من زرقاء اليمامه ص 155 — « مجمع الامثال »

انعتاق

لوحة ، بقلم : البشير بن سلامة

وُلِدَتْ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَرْضِ رَوَابِطُ مَتِينَة ، عُرُوق شَفَّافَة لاَ تَرَاهَا الْعَيْنْ ، وَنُسْغٌ دَفَّاق آثَارُهُ فِي الْوَجْهِ وَالْجَبِين .

وَتَرَعْرَعَتْ وَبَيْنَ عَيْنَيْهَا لَوْزَةٌ ، تَنطفي شِتَاءً ، وَتَبْرُزُ إلى السُّقُوط فِي الصَّيْف ، وَفي أُذُنِهَا الْيُمْنَى عُنْقُودٌ مِنَ العِنَبِ صَغِيرٌ صَغِيرٌ ، كُلَّمَا اشْتَدَّ الْخَرِيفُ اسْوَدَّ انعِتَاقاً وَحَنَّ إِلَى الْمَاءِ طَبِيعَةً وَلاَ جَوْهَرَ .

وشَبَّتْ وَجِسْمُهَا يَتَضَاءَلُ تَشَبُّثاً بِالأَرْضِ وَقَامَتُهَا تَقْتَرِبُ مِنَ التُّرَابْ ، وَيَدَاهَا فَرْعَانِ اكْتَمَلاَ قُوَّةً ، وَطَالاَ امْتِنَاعاً وَسَطْوَة .

وَسَأَلَهَا سَيِّدُهَا عَنِ النَّارِ وَالْحَطَبِ وَالْمَاءْ ، فَنَطَقَتْ يَدَاهَا عُروقاً نُحَاساً ، وعَضَلاَتٍ حَجَراً صُلْباً ، وَانْفَرَجَ فَمُهَا ، بَطِيءَ اللَّفْظْ ، عَنْ غَطِيطِ الْكَلاَمِ يَنْطَلِقُ مِنْ حُنْجُرَةٍ أثَّرَ في أَوْتَارها بَعْضُ بُكْمِ الطَّيْرْ .

وَفِي فَجْرِ يَوْمٍ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ عَنِيفَة ، قَطَعَتْ عُرُوقاً لَمْ تَرَهَا إِلاَّ عَيْنُهَا وَنَضَبَ نُسْغٌ ، أَمَلُهُ ضَاعَ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء ، فَتَفَجَّرَ جِسْمُهَا وَانْتَثَرَتْ لَوْزَةٌ وَانْفَصَمَ عُنْقُود .

وَعِنْدَ الصَّبَاحِ سَأَلَهَا سَيِّدُهَا عَنِ الْمَاءِ والحطب وَالنَّارْ ، فَتَكَسَّرَتْ يَدَيْهَا ، وانْطَلَقَ لِسَانُهَا في الضُّحَى أَمَلاً وَانْعِتَاقاً .

وَفِي الْمَسَاءْ نَاطَحَ رَأْسُهَا السَّمَاء .

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

تعترض المرء في حياته أزمات نمو أو تقهقر عدة لكن أشدها ما يعانيه الشيخ من قطيعة بينه وبين عمره كله حاضره وماضيه إذ قد يصبح في موقف المتفرج الغريب من مسرح حياته وحياة الآخرين ليس له عليها من سلطان • يريد فيرتد ويشتاق فلا يرد •

هيهات ! لقد فطم عن الفعل ومنى بالعجز والحرمان وليس له إلا التعلل بالذكريات والاوهام • ينظر الى جسده فاذا هو جملة غضون وتجاعيد • لقد ارتخى اللحم واندلق وجفت البشرة وتقلصت • والوجه ؟ لقد أصبح قناعا أشوه سخيفا بالنظر الى محياه المعهود مدى السنين • إنه المسخ بعينه ! ومع ذلك فما الشيب إلا شيب القلب وفتور الهمة وموت العزيمة •

الفكر وحده هو العلاج ، به يصبح شاهدا على زمانه رقيبا حسيبا• يغربل الاحداث ويفجر الحقائق وينفذ الى أسرار الوجود •

* * *

لا أمل في سلم حقيقة دائمة ما دام الانسان إنسانا • الحرب جزء من طبيعته • إنها جانب الشر والعدوان فيه • فلا الأديان ولا الفلسفات ولا المذاهب قديمة أو حديثة استطاعت أن تروضه وتكبح من أنانيته المفرطة وتعصبه الاهوج لآرائه ومبادئه •

داء البشرية ، سوسها العضال الاكراه • أن تنزل عند رغبتي وتنحني أو تمحى !

يأبى الانسان في جموحه وجنونه إلا أن ينسلخ أخوه الانسان عن إنسانيته ، أن يكون مجرد ظل له ، صورة بتراء منه ، مسخا أشوه على مثاله •

على ان اعترافنا بهذه الغريزة لا يزيدنا إلا رفضا لها وردعا وتجاوزا لها وقمعا بكل ما اوتينا من شغف بالحياة وتقديس الحرية والكرامة

* * *

لا تغنى الأفكار ولا الحقائق مهما تكن ساطعة صارخة . ينبغى أن تتحول الكلمات قوى محركة للنفوس مزلزلة ، أن تتفجر وهجا من الحماس المتجدد والاريحية الدافقة والايمان الراسخ الوطيد . يجب أن ننزل الى حضيض هذا الشعب ، أن نأخذ بيده ونجعل منه بشرا سويا ، إنسانا ممتازا ولا يمسنا فى ذلك نفرة أو إعراض ، ولا صلف ولا زهو ولا من ولا امتهان .

تلك هى الطريق وبدونها لا أمل فى تبديل وجه أرضنا البائسة وإنصاف شعبنا المحروم .

* * *

ليس الاجرام وقفا على الأقوياء ذوى البأس والبطش بل ان الكثير منه مرجعه الضعف والشعور بالنقص والجبن .

* * *

ليس أشد عداوة للفنان من نفسه ... كالجذوة أبدا تتأكل . يجتلب بل يختلق من هنا وهناك أسباب الهم والقلق والحيرة والشقاء من فرط « حساسيته ورقة نفسه » على ان له من خصب حياته الباطنية وسعة خياله موارد جمة للصبر والصمود والفرج والأمل .

* * *

ما أقرب المرء من طفولته . نحن نحمل طفولتنا من المهد الى اللحد . لكأنها تشف تحت طلاء من النضج والرجولة والسؤدد والتمكن . لقد يكفى أن يدهمنا أمر فادح أو صدمة عنيفة أو مأساة قاسية فاذا بنا نرد – لحين – الى عهد سحيق سحيق من الرقة والميوعة والوهن والوحشة والوله والضياع يوم كنا نعتمد على الغير ونستمد من الغير وننتعش بالغير .

نحن أطفال كبار ... كلمة مرددة مبذولة ولكنها حقيقة لا ريب فيها .

* * *

أسطورة الفردية ! ! لا وجود لأفراد ولا معنى لكلمة فرد . كل منا « كتلة » نواتها الأنا وسداها ولحمتها الكون بأسره ، ومواطنونا وإخواننا فى الانسانية على الأخص ، وليس خارج « الكتلة » إلا الاختناق والموت .

ب. م.

فترة استراحة

شعر : محمد الحبيب الزناد

مثلمَا ترَى كَلبْاً مَكلُوبْ
أوْ دَجَاجَة جَرْبَاءَ جَائعَهْ
كَانَ مُنبطحا أمَامَ عَيْنِ الشَّمْسْ
تَأكُلُهُ أكْلاً بَطِيءْ
تَحرُسُهُ مِنْ بَرْدْ طَيْف قَدْ يَجِيءْ
تُقَطِّرُ فِي فَمِه المَثْقُوبْ
سَوَائِلَ الْحَدِيد وَالكيمْيَاءْ :
(أكْسِيدَ الدَّهْشَة الصَّفْرَاءْ + كِبْرِيتَ اليَأسْ)
كَانَ فِي الزَّمَنِ المُجْدِبِ المَغْلُوبْ
يَعِيشُ لَحْظَتَهُ المُخِيفَةَ وَالرَّائعَهْ
كَانَ شِبْهَ مَيِّتٍ فِي جِسْمِه
لِبَاسُهُ الصَّمْتُ وَالْحَرَارَةُ المُطَهِّرَهْ
مُسَمَّرا فِي مَكَانه بِمَسَامِيرِ المَغْفِرَهْ
مَشْدُودا إلَى الشَّهْوَةِ مِنْ لَحْمِه ...
جَاءَ هَارِبا مِنَ التَّشْوِيشِ وَالذَّنْبِ وَالمَجَاعَهْ
أرَادَ أنْ يَصِيحْ أنْ يَصِيحْ
وَجَدَ المَاءَ المَالِح فِي فَمِهِ
وَارْتَطَمَ بِوَهْمِه
وَانْفَلَقَ فِي الهَوَا فُقَّاعَهْ
تَرَاهُ مِثْلَمَا تَرَى كَلْبا مَكْلُوبْ
أوْ دَجَاجَة جَرْبَاءَ جَائعَهْ
مُنْبَطِحا أمَامَ عَيْنِ الشَّمْسْ
(فِي فَتْرَةِ إسْتِرَاحَهْ) ...

م. ح. ز.

التمرد الديني عند جبران خليل جبران (*)

بقلم : جان فونتان

عاش خليل جبران أقل من خمسين سنة وكتب فى خلال هذه الفترة ستة عشر كتيبا تشمل ما يقرب من ألف ومائتى صفحة هذا هو انتاج المؤلف (1) ودرس هذا الانتاج من طرف نقاد كثيرين لكن هذا النقد أو هذه الدراسات العلمية تختصر فى الناحية الأدبية أو فيما وصل إليه جبران من تأليف فكرى دون أن يلح على تطور الرجل من ناحية مشاعره الدينية (2) .

ولا أريد فى هذه الكلمة أن أحلل تفكير جبران الدينى من كل نواحيه بل سأحاول أن أقدم ما نجد من تمرد فى هذا الميدان وسأدرس فى الجزء الاول قيمة المصادر ثم فى الجزء الثانى تطور تمرد جبران الدينى .

(*) كلمة ألقيت يوم 23 جوان 1970 فى دار الثقافة ابن خلدون بمناسبة المهرجان الذى نظمته سفارة لبنان بتونس لاحياء ذكرى جبران خليل جبران .

(1) **المجموعة الكاملة** لمؤلفات جبران خليل جبران ـ بيروت ـ 1965 ج 1 ـ العربية ـ 520 ص ـ ج 2 ـ المعربة عن الانكليزية ـ 590 ص ؛ **رسائل جبران** جمعها جميل جبر ، مكتبة بيروت ـ 1951 ـ 105 ص ؛ **زد على ذلك** مخطوطين موجودين فى متحف بشرى : فلسفة الدين والتدين ـ 1908 والجماعة القومية السرية ـ 1911 .

(2) 471 ـ 457 ، BROCKELMANN,SIII ؛ داغر ، 2 ، 253 ـ 261 ؛ 556 (1929) V 3 Gibb, Bsos ؛ كحالة 3 ، 110 ـ 112 ؛ سركيس 675 ؛ زركلى ـ 2 ، 100 ؛ 375 ـ 373 ، 2 ، Ei ؛ مع أن أحسن الدراسات تتمثل فى أطروحتين .

Kabam Antoine : **La vie et l'œuvre littéraire de Gibran Khelil Gibran,** Paris-Sorbonne. 25 septembre 1958. 382 + 29 p et Hawi Khalil : **Khalil Gibran, Bis backround, charouter and wortes,** Beyrouth, American University. 1963, 307 p.

* * *

أما السؤال الأول فى هذا الموضوع فهو التالى : كيف يمكننا أن نعتبر مؤلفات جبران مصدرا صحيحا لمعرفة تطوره النفسانى ؟ أو بعبارة أخرى كيف حول جبران ذاته من خلال نثره ؟ حاول ميخائيل نعيمة أن يجيب عن هذا السؤال فى كتابه حول حياة جبران (3) لكنه فشل اولا لأنه اختلق بعض الحوادث لتبرير نظريته عن جبران ثانيا لأنه غير رأيه فيما يخص صديقه حسب طبعات كتابه العديدة ·

لهذا يجب أن نرجع الى كتب جبران نفسها لكن هنالك ملاحظتين : الأولى أن المشكل بقى هو هو لأن جبران كتب خرافات عديدة فيما يتعلق بحياته وشعوره فى الحياة مثلا يدعى أنه قديس ونبى أو يزعم أنه رفض المعالى لكنه فى الحقيقة فشل امام هذه المعالى مع أنه بحث عن الشهرة بكل الوسائل ·

أما الملاحظة الثانية فهى تتعلق بما يقال عنه إنه انسان مادى بطل مغامرات جنسية فيجب علينا أن نوضح الأمور بكل دقة إذ أردنا أن نعرف درجة صدق جبران فى إنتاجه ويمكننا أن نقول أولا وقبل كل شىء إن جبران كان فى هذا الموضوع حذرا كلَّ الحذر ·

والمصدر الأول فى هذا الموضوع هو ميخائيل نعيمة فى محادثة جرت بيننا فى شهر نوفمبر الماضى حيث اعترف أنه افترض أكثر ما كتب فى هذا المضمار والمصدر الثانى هو كتاب Barbara Young (4) صديقة جبران لكن هذه الفتاة الأميركية جعلت أحلامها واقعا ثم إنها كانت تكتب تحت إملاء جبران لكنه كان وقتئذ مريضا جدا لا يعرف ما يقول فى كثير من الأحيان أما المصدر الثالث فهو يوسف حويك زميل جبران فى باريس وهو يقول : إن جبران متحفظ جدا أمام النساء (5) ·

---

(3) ميخائيل نعيمة : **جبران خليل جبران** - بيروت - دار صادر 1964 - 325 ·

(4) Young Barbara : **This man from Lebanan,** New-York. Syrian American Press, 1931. 88 p.

انظر نقد هذا الكتاب فى مارون عبود : **جدد وقدماء** - بيروت ، دار الثقافة ، 1955 ، ص 85 ·

(5) يوسف حويك : **ذكرياتى مع جبران - باريس 1904 - 1910** ، بيروت دار الادب 1958 ·

طبعا إن مغامرته الأولى فى لبنان مع هالة ذاهب لها أهميـة كبـرى إذ إنها أصبحت موضوع كتابه : **الأجنحة المتكسرة** قالت فيه البطلة سلوى كرامة :

« أنت أنت يا رب قد فتحت عينى بالمحبة
وبالمحبة أعميتنى
أنت قبلتنى بشفتيك
وبيدك القوية صفعتنى
أنت زرعت فى قلبى وردة بيضاء
وحول هذه الوردة أنبت الأشواك والحسك » (6) ·

كما قالت فى نهاية الكتاب :

« ها قد اخترت صليبك يا يسوع الناصرى وتركت مسـرات عشتـروت وأفراحها قد كللت رأسى بالأشواك بدلا من الغار واغتسلت بدمى ودموعى بدلا من العطور والطيوب وتجرعت الخل والعلقم بالكأس التى صنعت للخمر والكوثر فآقبلنى بين تابعيك الأقوياء بضعفهم وسيرنى نحو الجلبة برفقة مختـاريك المستكفين بأوجاعهم المغبوطين على كآبة قلوبهم » (7) ·

وليس من الضرورى أن نلح على اتصال جبران بـ Emilée Michel التى يسميها Micheline (8) ولا على شعوره البنوى إزاء Mary Hoskell (9) وكذلك على اتصاله بمارى خورى فى New York (10) لكن علاقاته بمى زيادة لها معنى خاص (11) لأنه كتب لها فى بدء الامر : إن الزواج عبودية الانسان أمام قوة

---

(6) **الأجنحة المتكسرة** ص 206 ·
(7) نفس المصدر ص 232 ·
(8) نعيمة 85 ـ 113 ·
(9) نعيمة 75 ـ 80 و Kawi 101 ·
(10) Kawi 102 ·
(11) عبود 130 ـ Kawi 109 و 116 ـ انظر كذلك كتب جميـل جبـر : **جبران** ـ بيروت ـ دار ريحـانى ـ 1957 و **مى وجبران** ـ بيروت ـ دار المكشوف 1950 و **مى فى حياتها** المضطربة ـ بيـروت ـ دار الطبـاعة والنشر 1953 ·

الدوام ثم بعد ذلك أراد أن يتزوجها ويمكننا أن نفسر ذلك بأنه حاول أن يجعل إرادته موافقة لخياله ·

* * *

1 ـ ونتيجة كل ما تقدم هى أن جبران لم يعش للحب بل عاش لانتاجه فاذا اتفقنا على ذلك وجدنا أن **المحبة** تمثل أولى مراحل تمرد جبران الـدينى فانه اعتقد أثناء هذه المرحلة أنه يمكن له أن يعيش فى انسجـام مع الطبيعة لأن الخلاص الأبدى موجود فى الحب وإن كان مذنبا فلا جدال بين الحب والواجب ولا يحتاج بطل جبران الى الندم والتوبة (12) فالطبيعة خلق حى تظهر فيه روح الحب المبهمة لهذا نجد فى نفس المستـوى حب الأمهـات والشوق ولهذا أيضا فان القانون ـ المطلق ـ الذى يسير حسبه النظام الطبيعى هو دلالة على المحبة والمملكة المثالية هى مملكة الحرية مع أن مفتاحها هو القلب (13) هذه هى المرحلة الأولى فى تطور التمرد الدينى عند جبران ·

2 ـ لكن جبران لم ينجح فى الحب ولم ينجح فى الميدان المادى لذلك اقتنع **بالصبر** وعبر عن قيمة الفقر قائلا : على الانسان أن يبحث عن الفقر لأن رجوع الغنى الى حياة أخوية كما عاشها الحواريون بعد موت المسيح هذا الرجوع يخلق الذات مرة أخرى (14) ·

3 ـ لكن جبران لم يجد الارتياح فى هذا التصرف فمال الى **الثورة** وقال : « التمرد والحياة والحق ثلاثة أقانيم فى ذات واحـدة لا تقبـل الانفصـال ولا التغيير » (15) ونجد نفس النظرية فى مفهوم يسوع عند جبران اذ يقول :

« عاش يسوع ثائرا وصلب متمردا ومات جبارا لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليستهوى الرجال الأشداء ليقودهم قسوسا ورهبانا بل جاء ليبث فى فضاء هذا العالم روحا جديدة قوية تقوض قوائم العـروش المرفـوعة على

---

(12) انظر خالد أمين : **الجوهر الفرد في أدب جبران فى المشرق** × × × 6/ (جوان 1932) 433 و 7 (جويلية) 522 ـ 526 ·

(13) Hawi 121 ـ 127 ·

(14) نفس المرجع 129 ـ 131 ·

(15) الرؤيا ص 415 ·

الجماجم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الأصنام المنصوبة على أجسام الضعفاء المساكين » (16) ·

وبحث جبران عن هذه الافكار فى نصوص الثورة الفرنسية (17) لذلك ثار على الطقوس (18) والمظاهر الدينية الخارجية (19) ولكنه ثار خاصة على الكهنة لأجل تدخلهم فى حياة العائلات (20) أو لأجل سيطرتهم على الرعايا (21) فانهم يعيشون بعيدا عن الشعب (22) وقريبا من الأغنياء (23) لذلك نجد النفاق من خصائصهم (24) ·

لم يكتف جبران بهذا التمرد لكنه ذهب الى المعركة ضد الطائفية فى لبنان لأنه لا حرية داخل الطوائف (25) وعندما أراد أن يكون جمعية وطنية فى بلاده اشترط على أعضائها ألا يهتموا بالطائفة (26) زد على ذلك أنه أنكر قيمة الدين بصفة عامة (27) لأن الدين يعاكس الطبيعة (28) ·

قال **بعضهم** فيما يخص هذه المرحلة : ثار جبران ضد الغرب **بواسطة روح**

---

(16) **العواصف** ص 378 ·

(17) رئيف الخورى : **الفكر العربى الحديث** – بيروت – المكشوف – 1943 – ص 29 – 166 ·

(18) يسوع ص 224 ·

(19) **الأجنحة** ص 43 ·

(20) نفس المصدر 58 ·

(21) نفس المصدر 31

(22) يسوع 224 ·

(23) **الأجنحة** 30 و 44 ·

(24) نفس المصدر 11 ·

(25) نفس المصدر 31 ·

(26) مخطوط فى متحف بشرى : **الحلقات الذهبية** ·

(27) انظر حنا الفاخورى : **تاريخ الأدب العربى** – بيروت – 1960 ص 1096.
ولامه أصحاب **المشرق** على ذلك : XX (1922) 487 و 910 – XXII (1924) 75 و XXI'' (1926) 623 ·

(28) **دمعة** ص 30 و 161 ·

الشرق كما ثار ضد تأخر الشرق بما هو خالص من روح النهضة الغربية (29) أظن أن هذا القول يعطى لجبران تفكيرا منطقيا لا وجود له فى إنتاجه الأدبى ولكن مهما كان من الأمر علينا أن نلاحظ أن هـذه المـرحلة الجـديدة تتمثـل باستعماله اللغة الانكليزية عوض العربية (29مكرر) مع أن هذه الثورة لا تكفى لحل المشكل حلا فعليا ٠

4 ـ لذلك بدأ جبران فى الميل الى التصوف الهندى خاصة بعد تلاوته أدب Blake (30) ولجأ فى نفس الوقت الى مبدأ **التجسد** ثائرا مرة أخرى على المبادىء الدينية المسيحية ويقول فى هذا المضمار : « كذا النفس تنفصل عن الروح العام وتسير فى عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الافراح فتلتقى بنسيمات الموت فترجع الى حيث كانت الى بحر المحبة والجمال الى الله » (31) ٠

كذلك قال عن المسيح : عرفته هناك شخصيا اتصلت به ثلاث مرات (32) ٠

وقال أيضا : سبع مرات ولدت وسبع مرات توفيت (33) ٠

فما هى نتيجة هذا التقمص فى تفكير جبران الدينى وعاداته الدينية المنافقة إن النتيجة الأولى هى تلاشى المجتمع وتمثل هذا التلاشى كثرة الأجسام العارية فى نصوص هذه المرحلة أما النتيجة الثانية فهى تلاشى النفس فى ذاتها برفض أسباب العمل الانسانية التى تمنع تكوين الذات الجبارة حسب عبارته فقال بعـد Nietcsche : « أنا أكرهكم يا بنى أمى لأنكم تكرهون المجد والعظمة أنا احتقركم لأنكم تحتقرون نفوسكم » (34) ٠

---

(29) فلكس فارس : **رسالة المنبر** ص 94 ٠

(29) Jacques BERQUE : **Les arabes d'hier à demain,** Paris, Seuil, 1960, p 174.

وتعليقه على قيمة اللغة العربية الرمزية الدينية عند الأدباء النصارى ٠

(30) LECERF : **Un essai d'analyse fonctionnelle (les tendances mystiques du poète libanais d'Amérique Jabran), Studia Islamica,** I (1953) 121-135 et II (1954) 131-155.

(31) دمعة وابتسامة ص 143 ٠

(32) يسوع ابن الانسان ص 255 ٠

(33) نفس المصدر ص 355 ٠

(34) العواصف ص 392 ٠

وتعظيم الذات مستمر فى كتابه **النبى** (35) حيث يقول مثلا : « أما المعلم فاذا كان بالحقيقة حكيما فانه لا يأمركم أن تدخلوا بيت حكمته بل يقودكم بالأحرى الى عتبة فكركم وحكمتكم » (36) وأيضا : « أجل إن الخير الذى فيك إنما هو فى حنينك الى ذاتك الجبارة » (37) وفى هذه المرحلة بالذات نجد مفهوما جديدا للصلاة عند جبران فقال : « وهل الصلاة غير اتساع ذاتك فى الأثير الحى » (38) .

5 ـ تدل هذه العبارة على فكرة انتقالية الى مرحلة جديدة وهى وحدة الوجود **والحلول** والانتشار قال فى هذا المضمار : « لأنكم اذا اشتغلتم بمحبة فانما تربطون أنفسكم وأفرادكم بعضا ببعض ويرتبط كل واحد منكم بربه » (39) فنتساءل هنا هل خلق الله الانسان أو العكس بالعكس لأنه حسب جبران لا خلق إلا فى خيال الانسان وقال فى قصيد باللغة الانكليزية عنوانه : **الله :**

« أنا جذورك فى الأرض
وأنت زهرتى فى السماء
ننمو جميعا أمام الشمس » (40) .

وفى خاتمة كتاب النبى :

« ربنا وإلهنا يا ذاتنا المجنحة
إننا بارادتك نريد » (41)

وتتمثل هذه المرحلة بالسخرية المستمرة (42) ويتساءل مثلا : ما هو معنى وجودى أنا الكائن الكامل فى عالم كل شىء فيه ناقص ؟

---

(35) LECERF : **Djabran et les origines de la prose poétique moderne, Orient** 3 (1957) 7-14.

(36) النبى ص 125 .
(37) نفس المصدر ص 117 .
(38) نفس المصدر ص 125 .
(39) نفس المصدر ص 97 .
(40) نعيمة 158 - HAWI 201 ـ النبى 81 .
(41) النبى ص 163 .
(42) شيخو لويس فى المشرق XXI (1923) 487 ـ 493 .

6 ـ وبعد هذا التساؤل بقى مشكل **الموت** فقط فمن جهة نرى جبران ينادى الموت ولكن من جهة أخرى نراه يقول : مات الله اذا ماتت أختى سلطانة وفى حضور الموت سألته راهبة المستشفى : هل أنت كاثوليكى ؟ فأجابها بنبرة قوية : كلا • وبعد أن انتقل الى حالة الغيبوبة جاءه كاهن سورى وأخذ يناديه بأعلى صوته : جبران ـ وجبران لا يعى فسأل ميخائيل نعيمة الراهبة : هل فعل الكاهن شيئا ؟ أجابت : هذا كل ما فعل (43) •

وكان جبران قد كتب فى أول إنتاجه الأدبى : « لا تدعوا كاهنا الى جانب فراشى لأن تعازيمه لا تكفر عن ذنوبى إن كنت خاطئا ولا تسرع بى الى الجنة إن كنت بارا » (44) فكان جبران مرشوقا بالحرم الثقيل منذ سنة 1901 (excommunié) وترك من الكتب المقدسة كل شىء إلا الأسلوب (45) وترك أيضا طائفته المارونية قائلا : أحب يسوع فى نصف قلبى وأحب محمدا فى النصف الآخر (46) •

* * *

فما هى خلاصة لقول ؟ اتبعنا تطور تمرد جبران الدينى فى حياته وفى إنتاجه **الأدبى وإن كان هذا الانتاج مرآة مشوهة من الحب** الى الصبر ومن الثورة الى التجسد فالحلول والموت كما رأينا هذا التطور من خلال تأثرات مختلفة فلا جديد فى هذه النظريات لكن تجربة جبران يبدو أنها خالصة فاننا نفهم هذا الانسان مقيدا بألم الفشل فى تبديل العالم زد على ذلك أنه فى نطاق حلوله ابتعد عن تصرف مادى بسيط •

وهذا التفوق يمكن أن نراه لا فى تصوفه فحسب بل كذلك فى الصور التى استعملها فى أدبه عرف جبران معرفة دقيقة رموز الحلول التقليدية ومثل أيضا أمثال التوراة وأضاف الى ذلك غنى شعوره الرمزى الطبيعى وعمقه لكن قمة هذا العمل الشخصى تتمثل فى استعماله شخصية يسوع وهو رمز النجاة والخلاص فان جبران اختار هذا الرمز وغيره تغييرا كاملا لأجل هذا كله يمكن أن نعتبر جبران من أكبر الروحانيين •

ج• ف•

---

(43) نعيمة ص 6 •

(44) **الأجنحة المتكسرة** ص 217 •

(45) أنيس المقدسى : **الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة** ـ بيروت ـ دار الكاتب العربى ـ 1963 ـ ص 325 ـ 326 •

(46) من شاعر مسيحى الى المسلمين New York ، 1911 •

غرفة خربة في الخلاء

قصة ، بقلم : رضوان الكوني

الحذاء الأسود الغليظ يهتز وينحط على الرصيف الباكـى ٠،٠٠ فى هذه الليلة المظلمة أخذت قطة تموء تحت شجرة عبثت بها الرياح والأمطار فناحت وتمايلت فى كل اتجاه ٠ والجو المثقل بالرطوبة لا يـدع الناس فى استراحة واطمئنان ،٠٠ والمقهى القابع فى آخر الشارع المحتل صدر الساحة المـواجهة لك تساقطت على نوافذه وأبوابه سهام مائية حتى غار وراءها ولم تعد ترى منه إلا هيكلا ضبابيا يعيد إليك مرأى المقهى المحترق فى يوم مطير ، يوم أن بقيت تلك الفتاة التى تعرفت عليها حديثا تنتظرك فيه الى أن أصابته النيران فانهدم وتقوضت أركانه ولم يبق فى كل ذلك المبنى شىء يهمك سوى شبـح الفتـاة المشوهة ، المحترقة انتظارا ٠٠٠

عندما لاصقت الشجرة النائحة ووجهت بصرك الى القطة الباكية ، شاهدت قطيطة صغيرة جدا ، قد ابتل وبرها وهى ترتعش من البرد ، فاندفعت يداك من جيبى معطفك الدافئين وانحنيت عليها تحملها الى ركن فى الشارع ، لكنه لم يعجبك ، فطوفت تبحث عن مكان مناسب لهذه الصغيرة ، واستقر رأيـك على أن تضعها وهى ما انفكت تموء أمام أحد الأبواب الكبيرة فوق العتبة حيث لا يصلها الغيث النافع ٠

ورجع الحذاء الى حركته الاولى يهتز وينحط بينما تعبث شفتـاك بسيقـارة كريهة الرائحة وكميتها الدخانية ثقيلة على صدرك وقلبك الزافر فى هذا البرد المتهتك ٠

« إذا أردت أن لا أحس بالبرد فاننى أجرى أو أسرع الخطى » ٠ هكذا قـال أخوك الصغير ٠

كبرنا واصبحنا نأخذ المعرفة ممن هم دوننا ، يـا رؤوسنـا ، يـا رؤوس السلاحف ٠ وحثثت خطواتك فتحرك الدم أكثر داخـل جسمـك وأحسست بالدفء فعلا ٠

يا زمن الغرائب ، أصبحنا نطبق ما يقوله الصغار ونجده مصيبا ! ٠ يا رؤوس السلاحف البطيئة الفهم يا رؤوسنا ٠٠

لكن نواح الشجرة ما زال يصلك حتى بعد أن ابتعدت عنها ، ولا تفتأ الريح تعبث بها ، والمطر تنزل ، أحيانا شديدة وحينا خفيفة ،٠ وحتى المطر يعبث ، فبعد أن كان الجو صاحيا فى المساء أصبح مع مجىء الليل عواصف وأمطارا ،٠٠ عبث ٠٠ كل ما يوجد يعبث ، الريح تعبث بالشجرة فتعبث الشجرة نائحة ، وينزل المطر كما اتفق له دون سابق إنذار ، والقطة تموء تحت الشجرة أو فوق عتبة باب وضعتها أنت هناك لتكون فى مأمن من عبث الرياح لكنها تموء وتردد ألحانا لا تدرى ماذا تسميها ٠ والشارع بعد أن كان خاليا إلا منك ومن صوت لطبيعة بدت لك فيه على حين غفلة تلك الملتحفة ملاءة بيضاء تعرض جسمها عليك وأنت متشغل عن كل شىء وعنها هى بالذات ٠ ونبذتك « يا صعلوك الليل والشوارع ، يا غبيا لا يقومه الارشاد » ٠

يداك مدسوستان فى جيبى معطفك الدافئين والحذاء يخبط على آخر مكان من رصيف هذا الشارع ، وملت الى اليسار واتخذت جهة أخرى فى شارع آخر ، لكن شيئا ما داخلك إزاء الملتحفة بملاءة بيضاء ، وتباطأت خطواتك كأنك تريد أن تقول شيئا ٠ لا يمكن أن أستمر فى سيرى وأشياء أريد أن أقولها ولم أقلها ، يجب أن أقول كلمتى ، وخاصة لهذه البيضاء فى هذه الليلة الظلماء العاصفة ٠ إلا أن شيئا لم يحدث ، ورجعت الى سيرك الحثيث مع التثبت فى وضع حذائك على مكان لا يجعلك تزل فتسقط ، ويتهشم رأسك وتخرج عيناك وتنشطر احدى ركبتيك ، ـ أو لا يحصل شىء من ذلك وإنما تتكسر ساعتك الدقيقة التى تعتمدها فى ضبط أوقاتك ، وقد لا يحدث شىء من ذلك كله فتبتل ملابسك فقط ، ثم تقوم وتستقيم على الطريق كما كنت ٠٠

وأنت تواصل خطوك الثابت اعترضك رجل بدين يعتصر خصر امرأة ولما شاهدت المرأة شاربك الغليظ الاسود استدرجت صاحبها نحوك وأرادت أن تستحوذ على مكان فى قلبك ، لكنك سلحفاة غبية دائبة فى السير تسعى نحو ما لا يدركه غيرها وقد لا تدرك هى أيضا الى أى هدف تسعى ٠ ولما باءت محاولة المرأة بالفشل زودتك بنظرة احتقار مشفوعة بملامح تفيد الاشمئزاز والانكار والسخط ، والبدين فى عوالم أخرى لا يفقه لغة العيون وشبق الانثى بين خيوط ضوئية قليلة منبعثة من بعيد ، يحس بالراحة وهو يعتصر جسما لا يبادله نفس الشعور ، يا رؤوس السلاحف ، يا غشاوة البلادة الجاثمة على الأذهان ٠٠٠ والادعاء بالمعرفة والفهم ولا شىء فى الواقع غير العبث ٠ وأنت

تمشى والليل ينتحر وآلاف الحركات تقام أمامك وتصطخب حولك وفى دماغك فى موكب الظلام المعربد ، يا ألعوبة الأفكار والزمن فى ليل عابث لا يفتأ ينتحر ٠

عندما أعطيت الورقة النقدية الى بائعة الزهور أخذت تشعـل سيقـارة فى انتظار أن ترد اليك بقية الفلوس٠،٠ولما انتهى الوقوف أخذت باقتك ودراهمك، وشرعت يداك تشتغلان ؛ إحداهما ممسكة بالزهور ، والاخرى تدخنك ٠،، وقام الحذاء الاسود الغليظ يهتز وينحط على الرصيف فى حركة وئيدة ، خفيفة الوقع على البلاط المخضل ، وفى أنفك رائحة الورود وعبير البائعة الشذى ، وخلف أذنيك همسات ليلية رقيقة تبعث الدفء فى هذا الظلام الموحش ٠،

« بضعة زهور ، شىء ضئيل ٠٠ لم لا تقضى الليلـة عنـدى فى أحضـان الزهور ؟٠٠ »

ولكنك سرت تنفخ الدخان كثيفا يفلق الظلام ، غير عابىء بشىء إلا برذاذ المطر الذى بدأ يعاود نوبته من جديد وأخذ يفتت لك اللفافة ،٠٠ وهمس بعيد خلف أذنيك « يا قاطع الليل والشوارع ،٠٠ يا أصم ٠٠٠ يا من بأنفه زكـام لا يشتم الزهور ٠٠ »

ولكنك سلحفاة دائبة فى سعيها ، ماضية مضى الليل نحو النهاية ، ونهايتك متى ؟ وغايتك أين ؟!٠٠٠

وتماديت فى السير دون توقف ، والمطر ينزل على رأسك والأرض ، فيشق دماغك ويسيل على حافتى الطريق الخالية ، المظلمة ٠،٠ وبلغت مكانا لم تعد فيه شوارع ولا مبان ولا طريق ٠ مكان خلاء ، كله طريق ، وكلـه ليس طريقـا ، فراغ ٠،٠٠ وأنت ماض فى مسيرتك والحذاء الأسود الغليظ غاص فى الوحل فثقل وزنه ، والمطر ينصب من كل جهة ، لكنك لم تقف ، وإن كنت قد تعثرت فى المشى ، وبقيت تسير ٠٠٠ ولماذا أتوقف أو أتراجع ؟!٠٠ لن يكون من ذلك شىء إلا إذا ابتعدت الفراشة عن النور والنار ، أو اذا كف الديك عن الصياح عند الفجر ٠

وبلغك صوت ديك بعيد تحمله اليك آخر أنفاس الليل ، لكنك سلحفـاة ساعية ، تدب دبيبا ٠

قال الشرطى للمرأة الملتحفة بملاءة بيضاء :

ـ ترين هذه المرأة ٠

قالت الملتحفة بالبياض :

ـ نعم • أرى •• ما لها مضغوط عليها ؟

قال الشرطى :

ـ وضعت صغيرا الليلة ، وقذفت بـه فى الشـارع ، وأرادت الفـرار من جريمتها •

ـوماذا تريدون منى ؟

ـ هل رأيت هذا الصغير ؟

ـ لا • لم أره •

ـ هل شاهدت من كان يحمله ؟

هنا تراجعت المرأة البيضاء الى الوراء وأسندت ظهرها الى الحائط ووضعت رجلا على رجل حتى أصبحت فى جلسة لا يغيب معناها عن الشرطى الذى وجب قلبه وبرقت عيناه •

قالت المرأة البيضاء بعد أن نفخت :

ـ اعترضنى صعلوك يهرول ، ورأيت بين يديه صغيرا يئن •

قال الشرطى :

ـ أمتحققة مما تقولين ؟

ـ كوجودى أمامك •

ـ ولماذا لم توقفى هذا الرجل ؟

ـ ظننت أنه يحمل ابنه • لكن عندما فاتنى قليلا عرفت أن الحكـاية لهـا حكاية •

وأرسل الشرطى جماعة للبحث عن الرجل •

واعترضت المرأة الضارة المتضررة :

ـ ما ذنب الرجل حتى يوقف ؟!••

والمطر ما انفك ينزل وأنت ما انفككت تمشى ، والليل يستفيق على بحة ديك بعيد والقضية تتطور وتلاحقك ، يا صعلوك الليل والشوارع •• يا من يحمل زهورا مزقت وريقاتها المطر ولم يبق لك منها إلا تيجان مبتلة •

قال البدين للشرطى :

ـ أبدا لم نر أحدا ولم نسمع شيئا •

وعقبت صاحبته :

ـ غير رجل اعترضنا وهو يخطو بسرعة •

ردد البدين :

ـ ربما ٠٠ قد يكون مهزولا وغير ذى بال ، لذلك لم يسترع انتباهى ٠
وتحول الشرطى عنهما وقال فى اتجاه معين :

ـ وأنت يا سيدة ؟٠٠

أجابت :

ـ منذ ساعة تقريبا ابتاع منى رجل باقة زهور ،٠٠ لاحظت أن معطفه كان منتفخا وكان مسرع الخطو ٠٠ ربما كان يحمل شيئا بين جنبيه ٠

كلام كثير تقوله هذه المرأة ، وهى لا تعلم أن بين جنبيك جسما ناحلا ، وأن ليس بأنفك زكام يسد عليك الروائح المتأرجة ، يا ألعوبة الصمت والتفكير فى ليل هازل لا يفتأ ينتحر ٠ لكنك سلحفاة دائبة السعى ٠ والحذاء الأسود الغليظ بدأ يفارق الوحل ويطأ أرضا صلبة مبتلة ، ويدك تحضن أعواد أزهار ليس فيها غير تيجان صلعاء ، وتسير سيرا حثيثا فى أرض خلاء ليس وراءك غير آثار أقدامك التى رسمت طريقا موحلة كآثار خنزير مكتنز الشحوم ، وليس أمامك غير جدار خرب يضم داخله غرفة قديمة متداعية ٠ ومفتاح كبير فى جيبك يده خشبية ٠ يا تاريخا يتراقص فى ذهنك ويتكهرب وتختلط فيه الصور سريعة خاطفة كخطواتك المتلهفة ٠

وتقف أمام الباب الخشبى المشقق وهو يقطر ماء ، وغراؤه الأزرق البالى تساقط مع المياه فلم يبق بالباب سوى خطوط زرقاء تتخللها أخشاب امتصت الماء فانتفخت ولانت ،٠٠ وقفت أمام هذا الباب ، وأخرجت المفتاح الكبير ذا اليد الخشبية ودسسته فى الثقب الفسيح وأدرته دورتين الى يسارك ثم دفعت الخشب فانفتح الباب وولجت الغرفة ٠

قال الجماعة الذين ذهبوا للبحث عن الرجل الحامل الطفل ، للشرطى :

ـ لم نعثر له على أثر ٠

وتمتم الشرطى ببرود وهو ينظر فى لهف الى الملتحفة بملاءة بيضاء :

ـ والعمل ؟!٠٠

فرفعت هذه رأسها ضاحكة وقالت :

ـ أنا أعرف فى أى طريق اعترضنى ، فان أردتم أن أدلكم على الشارع ، فانى أفعل ٠٠

وصاحت صاحبة البدين :

ـ وأنا أذكر فى أى مكان بالضبط اعترضنى ٠

ووافقها البدين على أنه هو كذلك يذكر المكان بالضبط ٠٠ فابتسمت صاحبته ٠ وتدخلت بائعة الزهور ٠

ــ لقد راقبته الى آخر مكان غاب فيه عن عينى ٠

واعترضت المرأة المتضررة :

ــ لم كل هذا ، لقد صرحت لكم بأننى لم أقذف طفلا على الرصيف ٠

لكن الشرطى ألزمها السكوت بنظرة حادة منه ٠

ثم قام الجماعة والشرطى والملتحفة بالبياض والبدين وصاحبته وبائعة الزهور والمرأة المتضررة الضارة ، قاموا كلهم يقتفون آثارك ، ومروا يهرولون ويصفرون الى أن بلغوا الشجرة النائحة وتخطوها غير مكترثين بصفيرها ، إلا أن المرأة الجانية صوبت نظرها تحتها تتفحصها وتمهلت فى مشيها وأرادت أن تدور حولها وعيناها لم تفارقا الأعشاب المبتلة التى تحيط بالشجرة ، وجذبها الشرطى يرجعها الى صفه فأذعنت سائرة معه ٠٠٠ وتأوه البدين من البرد وبدا عليه أنه مل السير ، ثم هتف :

ــألا يمكن لنا أن نعود نحن ؟

قال الشرطى باقتضاب :

ــ لا ٠ أنتم محجوزون الى حين حصولنا على نتيجة واضحة ٠

وطأطأ البدين رأسه مستنكرا وناظرا الى صاحبته يراقب ملامحها ، فلما لاحظ أنها ماضية مع الجماعة دون أن تكون قلقة ، هدأ وانضم الى الصف أكثر٠

كلهم يسيرون فى ليل بدأ يستفيق وفى برد نفاذ ، بلغوا منعطف الطريق وساروا على اليسار ، ومروا بدكان الزهور المقفل ، ومضوا فى اتجاه مقابل الى أن بلغوا الأرض الخالية ، وضغط الشرطى على زر النور بيده ، فتبين لهم بالقرب منهم آثار أقدامك فأخذوا يتبعونها وأرجلهم تغوص فى الوحل ٠ كلهم متلهف الى غاية مسعاهم ، وكلهم يلتف فى تلابيبه أو يلتصق بالجسم الذى اختاره ليكون مدفأة له ، فالملتحفة بالبياض تميل بمنكبيها نحو الشرطى وهذا يتعثر عليها ، والبدين يضيق الحصار بيده على نصف صاحبته ، وبعض الباحثين يبحث عن طريق نحو عبير بائعة الورد ، أو نحو المتهمة الساكنة ٠٠٠ وصوت ديك من بعيد يغزو أسماعهم ، والنهار بدأ يتنفس ويلفظ الليل الجاثم عليه ٠٠٠ ساروا طويلا ليطأوا الأرض الصلبة ، وزحفوا فوقها مدة حتى لاح لهم جدار خرب ، وآثار سيرك تقودهم فى ذلك الاتجاه ، فضاعفوا من سرعتهم ٠٠٠

وعندما كنت خارجا من الغرفة القديمة وأخذت تدير المفتاح الكبير ذا اليد

الخشبية دورتين الى اليمين وقف وراءك الشرطى وجماعته ، وتقدم إليك بكل عنف مزمجرا :

ـ قف يا مجرم ٠٠ لا تغلق الباب ٠

واستدرت نحو هذا الصوت فرأيت شرطيا يصرخ فى وجهك ووراءه جمع من الناس ، رجالا ونساء ،٠٠ وتذكرت بعض الهياكل التى مررت بها هـذه الليلة ، بائعة الزهور خاصة ، هى بالضبط ،٠٠ والبدين والمرأة التى بجانبه ، قد يكونان هما اللذان اعترضاك ٠،٠٠ والملتحفة بالبياض هى أشبه بتلك التى عرضت عليك جسمها ٠٠ ووجوه أخرى لا عهد لك بها ٠ ما الذى أتى بهم الى هنا ؟ من الذى جمعهم ؟٠ وهذا الشرطى الثائر ، ماذا يريد ؟٠٠ أأصبح الناس جادين الى هذه الدرجة ، أم هى دائما نفس الخرافة ؟ العبث ، ولا شىء غيره ، والادعاء بالفهم والمعرفة ولا شىء وراء ذلك !٠٠ يجـوز ،٠٠ ربمـا أصبحت الدنيا تجد ٠ والناس الذين يقضون الليل فى بيوتهم أصبحـوا يطوفون فى الشوارع ويدققون اعمالهم ويراقبون الآخرين ويستقصون أعمالهم،٠٠٠ يا زمن الغرائب ، يا رؤوس السلاحف ، ٠٠ أصبحتم تعون واقعكم وتعانونه ٠ لكن من الذى جمع كل هؤلاء وأتى بهم الى هنا ؟!٠٠

وقلت للشرطى فى استخفاف :

ـ خيركم من بدأ صاحبه بالتحية ٠٠

لكنه تقدم نحوك أكثر وصاح :

ـ افتح الباب ولا تضللنا ، دع عنك التلطف فهو سلاح الضعفـاء٠ لغـة جديدة لم أسمعها قبل ، الجد والحزم والحكمة ٠

وواصلت فى برود :

ـ صباح الخير ٠

ـ افتح الباب وإلا هشمته وكسرت دماغك ٠

المسألة تطورت إذن ، أصبح فيها عنف ٠ ثم وقفت أمام الباب مع مد منكبيك الى اليمين واليسار حتى كدت تخبىء الباب وراءك ، وقلت فى جد :

ـ ولماذا أفتح الباب ؟

ـ افتح الباب ٠

ما من باب يفتح إلا وخلفه أشياء تسر الناظرين أو تسوءهم ، كل يطـرق الأبواب ، وكل يريد نيل ما وراء الأبواب ، إلا هذا ، فماذا سيجدون فى هذا الخـراب ؟

ورجع الشرطى يتكلم من جديد فى صوت هادىء خشن ينبىء بالغضب :

ـ افتح الباب :
ـ لماذا ؟ ماذا يوجد وراء الباب ؟
ـأين الوليد ؟
عم يتحدث هذا ! أليس به مس !
ـ أى وليد ؟
ـ افتح الباب وستعلم ٠
ـ أعلم ماذا ؟
ـ الوليد الذى حملته من الشارع الى هنا ٠
ـ لم أر وليدا البتة ٠
ـ متى جئت الى هنا ؟
ـ الليلة ٠
ـ إذن ، افتح الباب ٠
ـ لنترو شيئا ما فى القضية ،٠٠ من هذا الوليد الذى تتحدث عنه ؟
ـ وضعته فتاة فى الشارع تحت شجرة فى هذه الليلة القرة وفرت هاربة مسرورة لأنها أخفت سيئتها ٠
ـ وأين ذهب هذا الوليد ؟
ـ نسألك أنت عنه ٠
ـ أنا ؟ ! ولماذا أكون أنا المسؤول عن هذا الوليد ٠
ـ لا أدرى ٠
ـ هل سألتم أناسا آخرين عن مصيره ؟
ـ لا ٠
ـ إذن لماذا أخص أنا بهذه التهمة ؟
ـ لاجتماع كل الأدلة ضدك ٠
ـ مثلا ؟ !
ـ مثلا ، لأنك كنت أنت الوحيد الذى يسير فى الشارع فى ذلك الوقت ٠
ـ ومن يثبت هذا ؟
ـ هؤلاء ٠
وأشار الشرطى الى من معه ٠

ـ إذن لم أكن وحدى فى الشارع ٠

وبلغ غضب الشرطى أشده فاندفع نحوك كالسهم وأزاحك عن مكانك وخلع الباب الى أن ارتجت أركان الغرفة الخربة ودخل الحجرة وتبعه الآخرون ،٠٠ بقيت تنظر إليهم مشدوها ثم تحركت نحوهم داخلا ٠

لم يكن بالغرفة سوى نافذة واحدة ، ولم تكن تحتوى على شىء ، وفى ركنها الأخير توجد أعواد زهور صلعاء مبعثرة فوق قبر مترب ٠

التفت نحوك الشرطى قائلا لك وهو يشير الى القبر :

ـ ما هذا ؟

ـ قبر ٠

ـ لمن ؟

ـ لأمى ٠

ـ ماذا جئت تفعل هنا ؟

ـ أزورها وأقضى حذوها حصة كلما أحسست بالضيق ٠ وارتسم على ملامح الملتحفة بالبياض شىء من الدهش والحنان عليك ،٠٠ وتقاسمت الآلام وجه بائعة الزهور ٠

وبعد فترة وجوم ، رجع الشرطى الى استنطاقك :

ـ وأين وضعت الوليد ؟

ـ ألا يكفى من التهكم ٠ قلت لك لم أر وليدا ولم أحمل معى شيئا سوى بضعة زهور لم يبق منها إلا أعواد أنت تراها على قبر أمى ٠

ـ إذن من الذى حمل الصغير ؟

واستدرت نحو الجمع الذى ملأ الغرفة وقلت للشرطى :

ـ وهؤلاء الجماعة شهود ضدى ؟

ـ الذين اعترضوك فقط ٠ أما الرجال الباقون فهم أعوانى ٠٠ وأما هذه المرأة فهى الجانية ٠

واندفعت تقول للشرطى :

ـ الأولى إذن أن نسأل الجانية أين وضعته ٠

وتقدمت نحو المرأة ٠

ـ أين وضعت الوليد ، أرجوك قولى بصراحة ، أين ؟

وأجابتك بصوت ضاحك مرتبك :

ـ لم أضع وليدا ٠٠ وأنا لست امرأة ٠ أنا ما زلت فتاة ٠

ـ كيف ؟
ووجهت بصرك نحو الشرطى وأسرعت تقول :
ـ أتسمع ؟
ـ نعم ٠
ـ ما رأيك ؟
ـ لا أدرى الآن ٠
ـ من الذى أخبرك بالقضية ؟
ـ طفل جاءنى يجرى وقال لى بأن فتاة ما زالت تمشى فى الشارع قد وضعت طفلا صغيرا على الأرض قرب شجرة ٠
ـ والفتاة ، ما رأيها فى زعم الطفل ؟

أجابت الفتاة :

ـ لقد خرجت فعلا من المنزل ، وقذفت قطيطة تحت شجرة كبيرة بعيدة عن المنزل مسافة حتى لا يبلغنا مواء القطة المزعج ، وعندما كنا آتين الآن الى هنا حاولت أن أجد هذه القطة تحت الشجرة ، فلم أعثر عليها ٠

واندفعت أنت تقول للجماعة بعد تفكير قليل :

ـ لقد عثرت على قطة تموء تحت شجرة فحملتها من مكانها ووضعتها فوق عتبة باب كبير ٠

ويصيب القوم صمت طويل ، ثم يخرجون الواحد بعد الآخر ، وتتبعهم أنت بعد أن تغلق باب الغرفة القديمة ٠٠٠ ويعود الحذاء الاسود الغليظ الملطخ بالوحل يهتز وينحط على الأرض ، وبداخلك قلب منتفخ لا يطيق دخان السگاير الرديئة ، ويداك مدسوستان فى جيبى معطفك الدافئين والبرد ينفذ إليك ٠

ـ « إذا أردت أن لا أحس بالبرد فاننى أعدو أو أسرع الخطى » هكذا قال أخوك الصغير ٠

وجعلت تسرع خطوك وتخب من حين لآخر ، وأحسست بالحرارة تسرى فى عظامك ٠٠٠ كبرنا وأصبحنا نأخذ الحكمة ممن هم دوننا يا رؤوس السلاحف يا رؤوسنا ٠ والحذاء الأسود الغليظ يهتز وينحط على الرصيف فى فجر يوم مثلج ، وأنت متجه الى المكان الذى خرجت منه ، يا صعلوك الليل والشوارع ، يا سلحفاة لا يدميها السير ولا يضجرها الاستمرار ٠

13 ماى 1970
ر٠ ك٠

دعاء النخيل

شعر : منور صمادح

أوراق ورد وحبات زيتون من تونس ... مهداة إلى شاعر الشيح والزعتر ... محمد العيد آل خليفة ، صناجة الجزائر الخالدة ، بمناسبة صدور ديوانه .

قريب .. ودونك بيد وبيد ..
يشط المزار ويدنو النشيد
ألا مدها من وراء الفيافي !
وهذى يدى .. إنه اليوم (عيد ..) ! (1)
خرائد من كل خود شرود
يهيم بها (مصعب) و (لبيد)
حدائق ، إن شئت ، غلب وروض
صحا ورده ، وهى ، إن شئت ، غيد ...
وقد رفعت هامها باسقات
فلله ذاك الدعاء الأكيد ...
يصلى الحمام على ظئرها
يرتل آياته ويعيد
يطير به الوجد بين النخيل
يرف عليه السلام العهيد
وبين العراجين يهدل حمدا
فيبسط تلك الأكف الجريد ...

* * *

تهجد ! ومت فى الذى لا يموت
فإنك حى وأنت الشهيد ...

لك الروح نبع ! وإنا عطاش ..
إذا شقى الناس أنت السعيد ...

لك الله يا شاعر المؤمنين
خيولهم قد كبت والجنود ...؟

وانك حادى حداة الرعيل
ففيك (البشير) وفيك (الحميد)

ألا رجع الوحى ، ذاك الندى
ويا حبذا بيته والقصيد

مرصعة بالنجوم الدرارى
يسامرها فى الدياجى عميد

إذا ما بدت فى العيون صغارا ...
فذلك أن النجوم بعيد ...

* * *

هو الشعر : صناجة ، هو مغنى
وفيه الطريف وفيه التليد

هو الشعر : ما أحبل النفس وحيا ...
وليس القديم وليس الجديد ...

ومن حاول النظم عن غير طبع
لعمرك ذلك هو البليد ...

* * *

أما كنت صوتا على هامها
يردده شيخها والوليد ؟

ويسفحـــه المتعبـــون الحيـــارى
وفيهـا السجين ومنهـا الطـريـد ...

دوت لصـــداه ليـــالى الليـــالى
وكـم كنـت وعـدا وفيـك الـوعيـد ...

صخـور تفجـر فـى كـل فـج
ونقـع يثـار وأرض تميـد ...

رسـولـك للنـاس حـرف مضـىء
إذا أغطـش الليـل ذك المـديـد ...

وإنـك للمغـربيـن احتضـان
جنـاحـان شـدا .. ونسـر عنيـد ...

أنـا ريشـة مـن جنـاح مهيـض
تـرامـت عـلى صـدره لا تحيـد

جنـاح .. وهـل مـن جنـاح عليـه ؟
إذا مهـض النسـر كيـف يصيـد ؟

أنـا ريشـة منـه طـارت شعـاعـا ...
وهـل ينبـت الـريش وهـو حصيـد ؟

* * *

تهـاوت قـرون مـن الـذكـريـات
وحـدثنـى (عـاد) هـا و (ثمـود)

وسـاءلـت فـرعـون فـى قصـره
وللنيـل أعـراسـه والخلـود ...

ولعنـة مـوسـى عـلى قـومـه
وخـاسوا ... ومـا زجـرتهم عهـود ...

تـلاشـوا ، فسينـاء عهمـاء محـل
وللتيـه شعـب عليهـا طـريـد ..

وهـل كـان شعبـا ؟ ألا إنـه
ذئـاب تـعـاوت بـهـا وقـرود
فهـل رفـع اللـه لعنـة مـوسى ؟
ومـن يـا تـرى الآن فيهـا شـريـد ؟
وسـاءلت (مـالـك) فـى (جلـق) (4)
وقـد ضحكـت فـى ربـاهـا الـورود
وفـى (بـرداهـا) استحمـت نجـوم (5)
تعـريـن فـى الـمـاء وهـو بـرود
و (أردن) يجـرى فتجـرى الريـاح
كـمـا يشتهـى والعـوادى رقـود
أحـقـا تـدنـس ذاك الطهـور ؟
وكـيـف الميـاه عليـه تعـود ؟ !
أمـا جمـد المـاء مثـل الصخـور ؟
أمـا انغلـق الصخـر ذاك الجمـود ؟
وحـدثـت (قحطـان) فـى (مـأرب)
و (صنعـاء) بيـن المدائـن خـود (6)
فـهـل هـد عـزم الحيـاة عليـه ؟
وهـل مـات فى العـرب ذاك الصمـود ؟
وأخبـرتهـم بالـذى كـان حـقـا ...
ومـا كـان حقـا ! وعنـدى شهـود ...
أقضـت مضـاجعهـم فى الـرمـوس
وبعثـر مـن فـى القبـور ونـودوا ...
وكذب من (مصـر) (اختـون) قـولى (7)
وضجـت قبـور الـورى وهـى دود
وقـالـوا : لقـد تطلـع الشمس غـربـا
وتبعـث قبـل النشـور الجـدود

وقـد يصبـح التبـر تـربـا ، ويغلـو
عليـه الحـديـد ، فتلـك جـدود ...
فـان اللحـود عليهـا قصـور
وإن القصـور عليهـا لحـود
وأمـا الـذى قلـت حـقـا .. فلـو
كـان حقـا لمـا عـاث فيهـا اليهـود ...

* * *

وآدت ، عـلى وهـن ، كـتـفـى
جبـال .. وفـى معصمـى القيـود ...
وعـاودنـى مشهـد المسجـديـن
وقـد رجـم المؤمنـون السجـود ...!
يـذال الهـلال .. يهـان الصليـب
وبعـد الحمـام غـرابيـب سـود ! !

* * *

أكـذب أذنـى ، أكـذب عينـى ،
ويجـلى الغـريـب وتمحـى الحـدود
سينتفـض النسـر رغـم الجـراح
ويـركـب أجـواءه ويسـود

م. ص.
19 أوت 1968

---

(1) تورية لاسم الشاعر محمد العيد .
(2) مصعب ابن الزبير القائد العربى ولبيد الشاعر الذى عمر ثلاثة قرون .
(3) محمد البشير الابراهيمى وعبد الحميد ابن باديس المصلحان الجزائريان والعالمان المجلان .
(4) جلق : مدينة دمشق .
(5) بردى : نهر فى الشام .
(6) مأرب ، سد انهار بعد سيل العرم وانهارت معه الحضارة الجنوبية باليمن ، وصنعاء عاصمة اليمن .
(7) اختنون ملك فرعون من الاسرة الرابعة .

التشجيع والتوجيه في تراث الفكر الاسلامي

بقلم : محمد الهادي العامري

التأثير الحضاري المتبادل بين الشرق والغرب كاد ان يكون بديهيا لدى الباحثين المنصفين الذين بحثوا عن الحقيقة وتجردوا عن الحمية والتعصب وتحلوا بالنزاهة العلمية وهي سمة الراسخ في المعرفة الذي لا تعبث بآرائه الاهواء ولا يجد التحيز الى آفاق تفكيره النقي سبيلا لا سيما اذا كانت الادلة واضحة والبراهين نيرة لا تقبل طعنا ولا جدالا · وقد يتعذر علينا ان نحدد بطريقة علمية الاطوار التي تأثر فيها الغرب بالحضارة العربية الاسلامية كمعرفتنا للاطوار التي تأثرنا فيها بالغرب لقرب عهد حضارته الحديثة في تاريخ العمران ولكننا نجزم بدون تردد ولا شك بان مشعل المعرفة الوهاج الذي لايحتجب بمكان الا ويتالق ويشع بغيره توارى عن آفاقنا عندما زهدنا في منعشاته وتغافلنا عن العناية بامداده والانتفاع ببذوره المنبثة في تراث حضارتنا القديمة باقتناعنا بالدون ورضانا بالعيش في الظلمة الحالكة واستسلامنا وتخاذلنا وتراجعنا واهمالنا حتى اصبحنا في القرون الاخيرة لا نهتدي ولا نعي ولا نعمل ولا نثور ولا نجدد ولا ننتقض ولا ننقض غبار الخمول ولا نفكر في حال ولا في مآل وعشش الجهل وفرخ في الادمغة واصبحنا وما بالعهد من قدم نجهل الماضي المجيد وننكر ان يكون لنا في الحضارة عمل يذكر او امر ذو أهمية يصح الاعتماد عليه والاستناد اليه لا سيما عندما كره الينا المستعمر ذلك الماضي وحاول بجميع قواه ان يضرب بيننا وبينه سورا حديديا ، مع ان الاقدمين من اسلافنا كانوا على العكس من ذلك فما اطمأنوا لظلمة ولا اقتنعوا بالتقليد ولا عكفوا على الجهالة ولا رضوا بالدون من الحياة واننا لنعجب عندما نلمس بذور التقدم ونجد نواة الرقي مدفونة في تراثهم الحضاري كيف تاخر الخلف منا ورضي لنفسه المهانة والصغار والاستعباد قرونا وظل منهارا ومتخلفا ؟ بينما ركب الوجود الحضاري الحديث في المدنية الغربية كان يمر ويملأ الكون ضجيجا وعجيجا والحياة تتحرك بلا فتور وتبسم للعاملين والدنيا تخدم ركابهم ومشعل المعرفة يتلألأ في آفاقهم وهم مجدون كادحون مبتكرون مكتشفون · وهنا مناط الغرابة فكيف تناسينا وكيف تراجعنا بعد ان كانت حضارتنا اول حضارة في العالم شجعت الفكر وخلقت التوجيه واسلافنا كما جاء في الطبقات الكبرى (I) هم اول من بنى المدارس وابتاع الكتب باوفر

(I) الطبقات الكبرى للشافعية تاليف ابن السبكي ج 3

الاثمان واجروا الجرايات لحفاظها وخزانها واول من اعان وشجع طلبة المعرفة على الوصول الى رغباتهم وقد جاء في ترجمة حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ان والده لما حضرته الوفاة اوصى به وباخيه احمد الى صديق له متصوف من اهل الخير وقال له : ان لي لتاسفا عظيما على عدم تعلم الخط وانني لفي شــوق الى استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ولا عليك ان تنفذ في ذلك جميــع ما اخلفه لهما فلما مات اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فنى ذلــك النزر اليسير الذى كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما اعلما اني قد انفقت عليكما ما كان لكما وانا رجل من الفقر والتجــريد بحيث لامال لي فاواسيكمابه واصلح وما ارى لكما الا ان تلجآ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وتوجها الى بغداد وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكى هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا للــه اهـ• وهذ النص الذى ترويه الطبقات يبرهن على عناية فياضة بتشجيع الفكر واعانة رجاله • والواقع ان سعادة الغزالي المعبر عنها في النص ليست سعادة له وانما هي نجــاح للفكر وسعادة للعقل وخدمة للمعرفة باعداد العباقرة لها وتكوين رجل كالغزالي الذى ملأ الدنيا انتاجا وعملا صالحا ليس بالامر الهين لولا الحضارة الاسلامية وشعورها بالواجب نحو تشجيع هؤلاء الرجال بتقديم سائر المساعدات الــتى تعينهم وتغريهم بالتهافت على طلب المعرفة وتلجئهم الى ذلك بواسطة هــذا التشجيع • ولو انعدمت تلكم العناية ما اقتعد الغزالي ذروة المجد العلمي ولاعد من اساطين العلماء ولا ردد تاريخ الفكر الاسلامي صدى تلكم العظمة •

وكان هناك شيء اروع من هذا كان العالم اذا بلغ درجة التبريز في المعرفة وآن له ان ينفع غيره يحف به رجال الفكر ويطلبون منه بالحاح أن يحتفلوا به تنويها بمكانته العلمية واعترافا بنبوغه عادة كانت معروفة عندهم في ذلــك تناساها الناس فيما بعد عند اعراضهم عن المعرفة واهمال شانها وشان رجالها وفعلا احتفل بالغزالي تلاميذه عندما عين عميدا لتلكم الجامعة (I) •

اما التوجيه وتكوين الاطارات الفنية بالمعنى المتعارف اليوم في الحضارة الحديثة فقد عرفته حضارتنا القديمة معرفة علمية مدققة ان لم نقل انها سبقت به الدنيا واول من وضحه بطريقة علمية دقيقة الامام ابو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المتوفى سنة 790 هـ في كتابه الموافقات • وانــك لتعجب عندما تطالع اراءه التى انبثقت عنه في القرون الوسطى الاسلامية عندما

(I) ج 3 ـ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ـ 2 الموافقات ـ للشاطبي ج I ـ ص 179 •

فلت شمس المعرفة واحتجبت واخذت الحالة تسوء فكان الشاطبي كابن خلدون نالق نجمها في آفاق هيمن عليها الظلام واكتسحها الجهل فلم ينتفع بارائهما القيمة وتفكيرهما السديد وفتوحاتهما العلمية ٠

(2) عالج ابو اسحاق في جد موضوع التوجيه العلمي قائلا لرجال التربية علموا وان كان كل واحد قد غرز فيه التصوف الكلي فلا بد في غالب العادة من غلبة البعض عليه فيتعين على الناظرين في هذا الصدد الالتفات الى تلك الجهات فيراعون الطلاب بحسبها ويراعونهم ويعينونهم على القيام بهـا ويحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال اليه من تلك الخطط ثم يخلى بينهم وبين اهلها فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من اهلها اذا صارت اليهم كالاوصاف الفطرية والمدكرات الضرورية فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية فاذا فرض مثلا واحد من الصبيان ظهر عليه حسن ادراك وجودة فهم ووفور حفظ لما يسمع وان كان مشاركا في غير ذلك من الاوصاف ميل به نحو ذلك القصد وهذا واجب على الناظر فيه من حيث الجملة مراعاة لما يرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم فطلب بالتعلم وأدب بالآداب المشتركة بجميع العلوم ولا بد ان يمال منها الى بعض فيؤخذ به ويعان عليه فاذا دخل في ذلك البعض فمال به طبعه اليه على الخصوص واحبه اكثر من غيره ترك وما احب وخص باهله فوجب عليهم انهاضه فيه حتى ياخذ منه ما قدر له من غير اهمال له ولا ترك لمراعاته وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه وصف الاقدام والشجاعة وتدبير الامور فيمال به نحو ذلك ويعلم آدابه المشتركة ثم يصاربه الى ما هو الاولى فالاولى من صنائع التدبير كالعرافة او النقابة او الهداية او الامامة وغير ذلك مما يليق به وما ظهر له فيه نهوض ونجابة وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم وان كان به قوة زاد في السير الى ان يصل الى اقصى العنايات في المفروضات الكفائية وفي التي يندر ان يصل اليها ، كالاجتهاد في الشريعة والامارة وبذلك تستقيم احوال الدنيا واعمال الآخرة اهـ٠ وايم الحق ان هذا الاستاذ المسلم الضليع قد قرر من الحقائق العلمية في بناء الحضارات وتكوين الاطارات ما يسمح بانشاء حضارة شامخة وهيكل اجتماعي خطير وتوصل في بحوثه في القرون الوسطى الى ما لا يخطر ببال أئمة التربية والتوجيه والتكوين الا في اثناء العصر الحديث ٠

وانا اناشدكم اليه اليست هذه البذور المنبثة في تراث الفكر الاسلامي جديرة بالصقل والبعث من جديد والعرض ولكننا اهملناها وانتفع بها غيرنا ٠

م٠ ع٠

الى التي أحبها

شعر : أحمد القديدي

[... واللغة جزء من كيان المتكلم إن وضوحا
وإن تعقيدا ، وهي صلة الذات بتحرك الطبيعة]
« هيسمبوتل »

1

أحبُّكِ لا من خوفْ
ولا مِنْ طَمَعْ
أحبك لا في مَذَلَّهْ
ولا في خُشُوعْ
وَلاَ في وَرَعْ
أحبُّك حُبّــا لَحْمــا وَدَمــا
حُبّــا كــافِــرا بِــالله كــالجُــوعْ
وَسَارقــا كالمجْتَمَـعْ

2

أوصدي بَــابَنَــا
ودعي أشْجَارَ اللّيْلِ للرّيحْ
أوصدي كِتَــابَنَــا
فَمَنْ يصنَع الحُبّ لا يَقرأُ عَنْهُ

أوصدي بَـابَنَـا
أوصدي كتـابَنَـا
وافتَحِي على النسيان شَبَّـابَنَـا
واقرئي للصمت أتْعَـابَنَـا
وَعَذّبِي فِـراشَنَـا المُسْتَرِيحْ
وافترشِي عَذَابَنَـا
فـالعَـالَمُ أصمّ شَحِيحْ
يُتْقِنُ إرْهَـابَنَـا .

3

لاَ غَـالِبَ فِينَـا وَلاَ مَغْلُوبْ
في الحَرْبِ مَـا بَيْنَنَـا
وَالْحُبّ يَـا مَهْبُولَـه
لاَ يَعْرِفُ الحُرُوبْ
وليس مُشْكِلَةَ تستدعِي الحَلْ
فهي مَحْلُـولَـهْ
وليس مفتـاحُـه تحت رأس الغُـولَـهْ

4

كَالشّمْس مَعْبُودَة ومستعْصِيَهْ
كَالشّمس منبع للنّور والميلادْ
كَالشّمس قـادرة على الْحُبّ والقَتْلِ
كَالشّمس طالعة من المجهولْ
كَالشّمس مَجْهُولة الاصْلِ
كَالشّمس مَرْفُوعة فوق جبين الارضْ
كَالشّمس مُقَدّسَة في الشّحّ وَالبَذْلِ .

أ. ق.
أكتوبر 1970

لحظة انتظار

قصة ، بقلم : سمير العيادي

1. — أولا

كنت هـاربـا .

عندمـا وقعتْ عيناي في صفْحة وجهك يـا فـاتنتِي الصّفراءَ صادفَ أنْ هَمَى المطرُ طِوالَ اللّيلْ في زقـاقِ شَوْقِيَ العاتِمْ .

لم يكُنْ له وَقْـعْ .

لَمْ يكـنْ له أثـرْ .

لم يكـن له ذكْـرْ

حتى تقشّع المعطفُ عن ابتسامتِك ، فكـان النّهـارْ .

لم يكن النّهـار طويلا .

لم يكـن .

صخرةُ بركانٍ في لِسانِ امرأة جائعةٍ تُطلقُ من حنـاياهـا عفَنَ الذّلّ ، فيطمعُ شيخ وكهل وفتى في غَسْلِ عفَنِهم بذُلِّهَا .

أنـا هُنـا ساكن . يدَي بِيدي، عينـايَ بعينيّ .

أنـا هُنـا جالس ، وقد دقّتْ من نافذتي الاجراسْ . من عجلات المطّاط المحتكّة بالاسفلْـتْ ترفعـا عن دَوْسِ قطْعة صفراءَ سقطتْ من يدِ المرْأةِ التي عثرَتْ في صبيهـا ، فانبطحتْ تحت عجَلاتِ الحافلَةِ .

لقد شهقَ النّاسُ ، لكن الجمرةَ انطفأتْ .

مسكت الفنجانَ بأنَاملَ لاهبةٍ ، مرتعشهْ . لقد سَكَنَتْ الحمَّى جميعَ تجاويفِ مكاني ، وعبقَتْ بها أنفاسي . وصرختِ الطّرقاتُ في مفارقها تنشر ازدحامَ الخَلْقِ . وانتصبت أمامي أيَادي فارغهْ . أيادي تمتدّ إلى عُنُقِي . أيادي تسألُني أن أتطهّرْ . فرفعتُ الفنجانَ إلى شفتيَّ ، وقد عبثت بجراحهما ارتجافهْ . وسكبتُ على وجهي شيئا من حُضُورِكِ .

لقد انصرفَ البائسُ غاضبا .

لقد انهَمَرَ سيلُ المُرور فَطَغَى .

لقد اندحَرَتْ أيادي التسوّل من انتباهي .

لو أنّكِ نظرتِ الثِّقلَ يَعبَ من أنفاسِ الشيخ المُسْتَلْقِي على الارض شاخرا في دمائه . لو أنك أتيتِ . لو أنك كنتِ الرحمةَ فرفعتِ عنه حِمْلَهْ . لو كنتُ أنا مكانك .

لو حَسِبَنِي النَّاسُ متسوّلا .

لو لم يَطُلِ انتظاري .

لو سقط اللّيلُ .

لقد تلظَّتْ لحظاتِي تَنتظِرُكِ ، خائفة مِنْكْ ، عائفة لُقياكْ .
لقد سال اللّيلُ على صدري ، وانهمرَ ، وتَدَحْرَجَ ، وهرع إلى قدميكْ .
فَعَفستُهُ .

كنتُ هاربا . لم أكن أرغبُ في يد الزّكَاة تلحسُ دعارتي بجُحُود هَنا .

لقد انفلق سيلُ الطرقات فَأَلْفَيْتُ الفنجانَ قد ضجّ واكفهرّ .
لقد نَضُبَتَ تحتَ عجلات سيارتك دماء زكيّة . لقد صاخ سمعُ
العالم إلى الصّفير . لقد ربتّ حفنة تراب على كتف المتسوّلين .

لمحتُ في الفنجان عينيك . بحثتُ فيهما عن شيء من ذاتي .
كنتُ هاربا لا أعرفُ سوى ....
....

لقد أدركتُ في كفي ان الطريق هُناك على اليسار فوق ب فَاصلْ
نُقْطَهْ ثمّ بياضُ على حتى ثم ماذا أهُنَاكَ تحت لقد خلّفْتُ فاصلْ
أنا قطعة قاطع ومقطوع وكانت القطيعةُ فاصلة ونقطة ولا رجوعَ
إلى السطر كنت هاربا أعلم أنّ الشيءَ بالشيء يذكر لقد سألت أحدَ
أصدقائي قلتُ هلْ هناك باب قَالَ لقد اخترنا من الابواب أسْهَلَهَا
قُلْتُ كَيْفَ قَالَ أقْرَبُهَا لاَ يُرَى وأبْعَدُهَا عزيز حميمْ
عندمَا فرّغْتُ عندما غرقت من صَحْنك قطعة كانت كبدي تموجْ
زغْرَدَتْ بعض شَرَاييني وعبقتْ أوردتي بالآف التخيّلاتْ كانتْ سوداءْ
ثم ماذا لقد تمّ اللقاءْ وانبلجَ شيء من تَحْت الفنجانْ.

كَانَ أعشى .

2. — ثانيا وأخيرا

كنا نُدْركُ أنّنَا لن نَقْتَلِعَ الاسفلت من مُقْلَة يَومِنَا ذاكْ .
وإن كَانَ المَطَرُ رذاذا حالما عابقًا . لقد تكدّسَتْ على وُجُوهنَا
آلافُ اللّحظاتْ من وراء حسّنا حسبناها رَعَشَات النّبضْ أوْ نبضات
العَيْشْ . النّاسُ يموتون كُلَ دقّة قَلْبْ فما علينا إلاَ أن نَغْفَلْ .
كنا نُهَرْوِلْ كلّما الْتقَى الدّمُ الفَاسِدُ بالهَوَاء النّقي كبُرَحَجَمْ

الصّدر يتلقّى الرّصاص ، وعظُمَ إحْجامُ الصّبْح عَنْ دَوْس وَرْدَة الدّمْ . كنا ندركُ أننا وراءَ البَلَه والتِّيه ثم اكتفينا بالتّعْليق على حالِنا وسَكتْنا وسَكتْنا .

أهِيَ الحَيَاةُ ؟

أم هُوَ تعلّقُنا بالعَيْش معا في كنف الإلتئامْ . لقد خسرْنا كلماتنا في أماسي العشْق — يا فاتنتي الصّفراءْ — فلا تقُولي إنّه الفشَل . الحُبّ . ثلاثُ نُقط تسترسلُ استرسالَ الفزَع . لقد عشنا في دوّامة حمْقاءَ منَ الكلماتِ والاصْواتِ ولم يهمس شعُورُنا بالحق حتى خدعتنا لحظةُ الانطفاءْ .

ثمّ ماذا ؟

رُوحان يهيمان في طُرقاتِ المدينة التي التفّتْ بصقيع صَمْتِها العاري . الحبّ حَسبْناهُ نقعا . فكان دَمْعنا مهذارا في الرّمْلْ .

لَقَدْ مَاتْ

لاَ علَيْنَا .

لَقَدْ مَاتْ .

س . ع .

سالم

شعر : رياض المرزوقي

إلى حمامتي الغالية ف.

المدينة :

1. – « المسلمُ يسلم من يده النّاسْ »
« النّاسُ ذئاب للنّاسْ »
إحساس يطوي أضلاعي
ويعذّبني هذا الإحساسْ
وبروحي مُرّ الإفلاسْ
يأكُلُ رجليّ الاسفلتُ
يغمضُ عينيّ الاسمنتُ
وبرأسي أحلامُ نُعاسْ ...

2. – « سلام يُعلنُ في الاردن سلامْ »
وتصفّقُ كُلّ الايدي
وتزغردُ كُلّ الاقلامْ
ويدورُ حديث في المقهى
وحديثُ المقهى أبدي
وتمرّ الايّامْ
وتمرّ الاعوامُ الاعوامْ
والدّنيا تبقى غانية
تتزيّنُ من دون كلامْ

3. – « دخّنْ سالمْ

وأنتَ سالمْ »
جرّبْتُ التّدخينْ
احرقتُ سجائرَ عشراتِ عشراتْ
وملأتُ جميع الاوقـاتْ
بدُخّانِ سجائر محروقهْ
وخنقتُ الدنيا المخنُوقَهْ
وكرهتُ التدخينْ
فصبَبْتُ المَـاءْ
صَبَبْتُ دِلاءً خلف دِلاءْ
وغمستُ شفَاهِيَ في الطينْ
لَكِنّ النّار طفَتْ
نـارُ الخوفِ من المقبلْ
واشتعلتْ أضلاعي اشتعلتْ
فاحترق المستقبلْ ...

« سيّدي سالم » * :

1. — « اللّحيةُ الزرقـاءْ » *

أقَـام في ضلوعي
مكفكفا دُموعي
وزارعا أحقادي السّوداءْ
كرهتُ كلّ طيب

---

* عرفت هذا الولي في بنزرت ثم وجدته بمنزل تميم ومن هناك انطلقت شراره هذه القصيدة
* بطل من أبطال قصص الأطفال الاروبية اشتهر بقتل زوجاته

كرهتُ كلّ فستانٍ عجيب
كرهتُ كلّ حرفٍ مِن كلمةِ النّساء

2. — وحدي مع الْجَبَلْ
زرعتُ في جَوانحي النّجومَ والضياءْ
أمسكتُ باليدين خيطا اسمُهُ الرجَـاءْ
لـكنّـه انفصلْ
سقطتُ في صحراءَ قد كان اسمُها الامَلْ
وتهتُ في الصّحراءْ
وغبتُ في حرب الفناءِ والبقَـاءْ

3. — سلامْ
سلام يملأ العيونْ
ويمسحُ الاحزانْ والشقاءْ
واللّيل والكابُوسَ والبلاءْ
شجرةً من اللّيمونْ
تحرسُهَـا حمـامة بيضـاءْ

ن. م.

زغوان — سبتمبر — اكتوبر 1970

حنبعـــــــل

بقلم : محمد فنطر

لقد كتب الكثير عن حنبعل قديما وحديثا وما انفكت « **شخصيته** » مصدر وحى وحيرة علمية وتساؤل ·

وقائمة التآليف الحديثة فى هذا الباب طويلة من السهل العثور عليها · ولكن فلنكتف بذكر الكتب الصادرة أخيرا والتى صنفت قصد الكشف عن شخصية القائد القرطاجى بما تحتويه من تعقيدات متكاملة وإن بدت متناقضة · ومن بين هاته المؤلفات الخاصة بحنبعل كتاب صنفه أحد الذين يتعاطون التأليف صناعة أو قل تجارة وهو جورج مصروعة · لقد ألف كتابا ضخما من حيث الحجم يتركب من جزئين كلاهما يتجاوز عدد صفحاته خمسمائة · عنوان الكتاب « هنيبعل » صدر فى دار الثقافة ببيروت سنة 1963·

إن عنوان الكتاب يشير بفصاحة الى نوعيته وقيمته · سماه مؤلفه «هنيبعل» وأثبت بذلك أنه ليس من خبراء تاريخ قرطاج وحضارتها · ذلك أنه لو كان من الدارسين المختصين فى هذا الموضوع لقال كما نقول جميعنا « حنبعل » · والثابت أن هذا الاسم كان مشاعا بين القرطاجيين · فعدد الذين حملوه يكاد لا يحصى كما تشهد به النقائش البونيقية التى سطرت على نصب قرطاج· ويتبين على ضوء هاته النقائش أن الحروف التى يتركب منها اسم القائد القرطاجى هى « حاء ـ ونون ـ وباء ـ وعين ـ ولام » لذلك نقول « حنبعل » وهو اسم مركب تركيبا مزجيا · وفيه عنصران : العنصر الاول هو « حن » وتحتوى هاته المادة البونيقية على معنى العناية والحنان على غرار المادة العربية · والعنصر الثانى هو « بعل » وفيه معنى السيادة ، والملك · فحنبعل هو السيد أو المالك · وهو المعنى الذى نجده فى اللفظة العربية : فبعل المرأة هو زوجها أى سيدها أى مالكها · وترون كيف ان تاريخ الكلمة يساعدنا على ضبط الماضى الحضارى حيث كان الرجل يبتاع المرأة زوجة فتصبح ملكا لديه خاضعة لمشيئته وأهدافه ·

فاسم حنبعل اسم فينيقى الاصل إذ امتزاج المادتين يشير بكل فصاحة

ووضوح الى العلاقة المتينة التى تربط بين اللغة العربية واللغة الفينيقية ولا عجب فى ذلك إذ هما ينتميان الى عائلة اللغات السامية أى أنهما تولدتا عن أم واحدة ٠

ومن هنا أتت ضرورة دراسة اللغات السامية لمن اراد الغوص فى بحر اللغة العربية وفقهها ٠

لقد وقع جورج مصروعة فى أخطاء فادحة ٠ من ذلك أن الملكة عليسة تحمل عنده اسم «اليسار» واسم عليسة من الاسماء المتداولة عند القرطاجيين (ص34) وكانوا يكتبونه بأحرف « العين واللام » ٠ والشين أو السين والتاء « علسة » ثم نرى جورج مصروعة يحرف اسم الالهة تانيت اذ ينادیها « تعنيت » ٠ لا أدرى من أين أتى بالعين فى قوله تعنيت والحال أن اسم هاته الالهة قد سطر آلاف المرات على النصب الذى أقامه البونيقيون قربانا لها وتثبت هاته النقائش أنهم كانوا يخاطبونها باسم « تانيت » ٠ ومن الاخطاء التاريخية الفادحة التى انزلق فيها قلم جورج مصروعة إدعاؤه أن كاتون عدو قرطاج المعروف كان قريب العهد من الملك يرباص ٠ وتعلمون أن الملك يرباص تريده الأسطورة معاصرا للاميرة عليسة فهو إذن ممن عاشوا فى أواخر القرن التاسع قبل المسيح ٠ أما كاتون عدو قرطاج ذلك الذى عرف بكلمته Delenda Carthago فقد عاش فى القرن الثالث قبل المسيح وكان من معاصري الملك النوميدي مسنيسا فهو اذن بعيد كل البعد عن زمن يرباص والقرن بينهما يساوى خمسة قرونا تقريبا ٠ تجدون هذا الخلط ان رمتم الرجوع الى كتاب جورج مصروعة فى الجزء الاول ص 36 – 37 الى غير ذلك من الاخطاء التاريخية التى قد يطول الحديث حولها ٠ وليس هذا موضوعنا اليوم ٠ على كل فكتاب جورج مصروعة ليس من الكتب التاريخية التى يمكن الوثوق بها ٠ نقول هذا حتى لا يتخذ مرجعا ٠ وهو من الكتب التى تشكل خطرا بالنسبة للقراء غير المختصين ٠

ومن الكتب التى صنفت خصيصا للكشف عن حياة حنبعل وعن الملحمة التى عاشتها قرطاج ، تجدر الاشارة الى كتاب ألفه « J. Pernoud » نشر بباريس سنة 1962 ٠ وقد وجه صاحبه جل اهتمامه الى الاحداث العسكرية فهو وصف للحرب البونيقية الثانية أكثر منه حديث عن القائد القرطاجي ٠

ولنا فى نفس الغرض كتاب ألفه (Gabriel Audisio) عنوانه « حنبعل »

نشر بباريس سنة 1961 . وفى نفس السنة تحدث (J. Carcopino) عن قائدنا فى كتابه (Profils de Conquérants) .

وألف بيكار (G. P. Baker) كتابا حول القائد القرطاجى وعنوانه « حنبعل » وهو من الذين ركزوا عملهم على وصف المعارك الطاحنة التى خاضها جيش قرطاج تحت قيادة حنبعل .

ومن أحدث الكتب التاريخية التى تعنى بحياة حنبعل وأعماله بما فيها من مواطن القوة والضعف شأن الاعمال البشرية جميعها تجدر الاشارة الى كتاب ألفه الاستاذ جلبار بكار (Gilbert Picard) وقد كان هـذا الاخير يدير شؤون الآثار التونسية فى عهد الحماية ، وهو الآن أستاذ بالجامعة الباريسية وقد نشر كتابه بباريس سنة 1966 .

فالاقلام كانت وما زالت سخية فى شأن حنبعل على أنه من باب المجازفة أن يستنفد الحديث عن قائد قرطاج فى دراسة لا تتجاوز حدود بعض الصفحات . لذلك التمس المعذرة لما قد يوجد فيها من نقص .

كنت أشرت الى الذين صنفوا الكتب حول شخصية حنبعل ولكن ما هى المصادر التى استقوا منها معلوماتهم فى شأن هذا البطل العظيم ؟ ليس للباحث فى هذا الحقل سوى المصادر اليونانية والمصادر الرومانية . ومن بين المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن حنبعل مباشرة أو تعرضوا إليه فى سياق حديثهم نستطيع أن نذكر « بوليب » وهو مؤرخ يونانى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد وكان من اتباع عائلة شبيون . ونذكر تيت ليف (Tite Live) وهو مؤرخ رومانى عاش فى القرن الاول بعد المسيح كما تجدر الاشارة الى (Cornélius Népos) وهو مؤرخ رومانى عاش فى القرن الاول قبل المسيح وقد صنف كتابا تحدث فيه عمن كان يعتبرهم من أعظم شخصيات العالم القديم أولئك الذين شاركوا مشاركة فعالة ملموسة فى صنع التاريخ . لقد تحدث (Cornélius Népos) فى كتابه عن صولون (Solon) وعن أسكندر وتحدث عن « عبد ملقرط » وعن ابن عبد ملقرط البرقى أى حنبعل . وغير هؤلاء كثيرون فمصادرنا إذن أدبية لكنها لم تتصف دائما بالموضوعية وقد تجاوزت أحيانا الحقيقة التاريخية إن لم تشوهها وتعطها ألوانا مزيفة تختلف حسب الظروف السياسية والحضارية دون أن تقرأ وزنا لحقيقة الامور . ومعلوم أن الرومان كانوا يكنون عداوة جهنمية لقائد قرطاج ذلك الذى اقتحم ديارهم

وجرعهم كأس الهزيمة فى وقائع عديدة من أشهرها وقعة كانة (Canne) ووقعة ترازمان (Trasimène) •

ولا شك أنه يعسر على العدو أن يتوخى الصدق والموضوعية فى حديثه عن عدوه • من ذلك يتحتم على المؤرخ أن يستخدم هاته الوثائق القديمة بكل حذر واحتــراز •

فعلى ضوء هاته الوثائق القديمة وعلى ضوء ما كتبه المؤرخــون المعــاصرون سنحاول التعرف على بعض النواحى من شخصية حنبعل • فقد أخترنا أن لا نتحدث إلا عرضا عن الحروب التى خاضها حنبعل فى شبــه جــزيرة الايبــار (اسبانيا) أو فى الاراضى الايطالية كما لا نتحدث عن وقعة زامة تلك التى تقابلت فيها جيوش حنبعل وجيوش شبيون وكانت منعرجا حاسما فى تاريخ قرطاج • فهى حروب ووقائع معروفة تصفها الكتب باطناب • لذلك بــدا لى حسب اجتهاد شخصى أنه من الاجدى أن نعرف بخلق حنبعل وبثقافته •

مولد حنبعل وعائلته :

ولد حنبعل فى المنتصف الثانى من القرن الثالث قبل المسيح أى فى سنة 246 وكان أبوه عبد ملقرط (يكون من الخطأ أن نعرب اسم هذا القائد بقولنا أملكار أو هاملقار) منهمكا إذ ذاك فى معارك صقلية • وقد سجل انتصارات باهرة على الجيوش الرومانية رغم تفوقها عددا وعتادا •

لم يترك لنا التاريخ شيئا عن طفولة حنبعل بل قل إننا نجهل كل شىء عن حياته بقرطاج خلال السنوات التسع الاولى من عمره • فلا شك أنه فتح عينيه فى مدينة جليلة بالرغم على ما أصابها خلال الحرب البونيقية الاولى من خسائر فى الاموال والرجال ومن تقلص فى امبراطوريتها • ذلك أن قرطاج أجبــرت على قبول مبدإ التخلى عن جزيرتى صقلية وسردانيا •• زد على ذلك أن خزينة الدولة كانت فارغة وقد ابتلعت الحروب مدخراتها حتى اصبحت المدينة عاجزة على دفع قروض الجنود المرتزقين الذين حاربوا فى صفوفها طيلة سنوات عديدة فلما وضعت الحروب أوزارها وعاد الجنود الى صقلية أفواجا وتجمعوا بالمدينة مطالبين بحقوقهم مــاطلتهم الــدولة وســوفتهم حتى نفــد صبــرهم ورفعــوا أعلام الثورة والتمرد • وتطور الامر حتى كانت المدينة وسكانهــا على وشــك الهلاك • ولم تتخلص قرطاج من ذلك الخطــر الفتــاك إلا بفضــل ما أبــداه عبد ملقــرط من عبقــرية فى ضبط الخطط العسكــرية وشجاعة وحذق فى

تطبيقها • وكان القضاء على المرتزقين وعادت المياه الى مجاريها فى الربوع الافريقية • وأقيمت أقواس النصر فى قرطاج اجلالا لعبد ملقرط وهو القائد المظفر منقذ الوطن لكن الدولة كانت تشكو عجزا ماليا فادحا والاعمال التى تنتظر قرطاج جسيمة • كما كان عليها أن تدفع ضريبة للسلطات الرومانية طبقا لنص المعاهدة التى أبرمت بين الخصمين عند انتهاء الحرب البونيقية الاولى•

كيف يمكن لقرطاج أن تسترجع قواها وكيف يمكن لها أن تواجه ظروفها العسيرة ؟ لذلك اتجه عبد ملقرط نحو شبه جزيرة الايبار أى (إسبانيا) ومعلوم ان المؤسسات الفينيقية باسبانيا تعود الى منتهى لالف الثانية قبل الميلاد وكان الفينيقيون يأتون جنوب اسبانيا لاقتناء المعادن • ومن المدن الفينيقية الموجودة فيها تجدر الاشارة الى مدينة قادس (Cadix) وهى توجد على الشواطىء الجنابية الغربية من هذا القطر •

ويبدو على ضوء بعض الابحاث العصرية أنه الى جانب الاهداف الاقتصادية كان عبد ملقرط يريد الابتعاد عن مدينة قرطاج وعن مناقشات مجلس شيوخها لا سيما وقد كان فيها اذ ذاك حزب يرأسه حنون يعارض سياسة عبد ملقرط لشعبية • كان حزب حنون يمثل مصالح الطبقة الثرية من كبار الفلاحين والتجار وكان يرى فى علاقات عبد ملقرط بالطبقات الشعبية خطرا على الوضع الراهن أى على مصالحه ومصالح الاوساط التى يمثلها والتقاليد السياسية والاقتصادية بقرطاج •

فعوض ان يبقى فى المدينة ويتصدى لحنون وحزبه آثر عبد ملقرط تجاوز المعارضة • عرض مشروعه المتعلق باسبانيا على الدولة وأقنع الأغلبية فى مجلس الشيوخ فكان له ما يريد بطريقة شرعية مع العلم أن الظروف كانت مواتية : فهو مشروع فيه غنم لقرطاج اذ سيزودها عبد ملقرط بما هى فى حاجة اليه ، وخاصة بالمعادن التى ستمكنها من إصلاح اقتصادها ودفع ضريبة الحرب للرومان • ولعبد ملقرط فى اسبانيا ما يطمح اليه من حرية وسلطان • له فيها جيش لا يعرفه أحد سواه • وفى سنة 237 قبل الميلاد كان القائد عبد ملقرط على أهبة الرحيل نحو اسبانيا على رأس جيش بونيقى عظيم • وكان ابنه حنبعل اذ ذاك فى التاسعة من عمره • وكان قد طلب من أبيه أن يصطحبه الى اسبانيا • وتذكر النصوص القديمة أنه لبى رغبة ابنه شريطة أن يقسم أمام مذبح بعل حمون أنه لن يتخلى يوما عن عداوته تجاه الرومان أولائك الذين فرضوا الحرب على أرض الوطن وابتزوا أراضى قرطاج وأموالها • ويثبت المؤرخ اليونانى بوليب والمؤرخ الرومانى تيت ليف (TITE LIVE)

أن حنبعل أدى ذلك القسم الخطير الذى سيكون له فى رأيهم تأثير عميق فى نفسية حنبعل وفى اختياراته السياسية والعسكرية ٠

لقد سبق أن أشرنا إلى أننا سوف لن نتحدث عن حنبعل القائد العظيم الذى بهر وما أنفك يبهر العالم بعبقريته العسكرية حتى أنه يبدو أن الطرق التى ابتكرها حنبعل أثناء الحرب البونيقية الثانية ما زالت تدرس فى كثير من الكليات العسكرية الاروبية والالمانية منها بالاخص ٠ فلنترك القائد لمناسبة أخرى ولنتحدث عن الرجل وتربيته وثقافته ٠

لا شك أن روح حنبعل فطرت على الشجاعة وحب الجندية ولا شك أن أباه عمل على صقل روحه وتغذية حب الجندية فيه ٠ بل كان حنبعل قدوة للجنود ٠ عرف عندهم بالقوة والقناعة والصبر والمثابرة ٠ وكان لهم مثلا أعلى ينظرون اليه بعين ملؤها المحبة والتقدير وهو رمز الشجاعة فى ساحة الوغى ورمز الحكمة عند التبصر فى الامور والتفكير فيها ٠ لقد عرفه الجنود منذ صغر سنه وكانوا معجبين بجرأته ومهارته فى ركوب الخيل وسل السيوف حتى أنهم بايعوه بالقيادة سنة 221 قبل المسيح هاتفين بحياته مع أنه لم يتجاوز اذ ذاك الخامسة والعشرين من عمره ٠

حياته العائلية : الزوج والأب

ولكن يجدر بنا أن نقول كلمة بادىء ذى بدء عن حياة هذا الرجل العظيم ويجدر بنا أن ندخل منزله ونشاهده صحبة أهله وذويه ٠

يبدو على ضوء الوثائق القديمة والدراسات العصرية أن حنبعل عاش منذ نعومة أظفاره حياة الجندية فى المعسكرات فلا ندرى شيئا عن أمه ولا ندرى شيئا عن مدى تمتعه بحنان الأمومة ٠ ولعل الظروف أبت الا أن تحرمه من حرارة صدر أمه كما حرم المؤرخ من المصادر المتعلقة بطفولته ٠ فلا جدوى اذن فى سبك الافتراضات السلبية الخاوية ٠

أما فيما يتعلق بحياته الزوجية فيبدو حسب ما ورد فى كتب القدماء أنه لم يتزوج إلا بعد تبوئه عرش القيادة ٠ ولقد تزوج بفتاة تنتسب الى عائلة اسبانية عريقة فى الشرف كانت من سكان مدينة كستولو (Castulo) وهى تقع فى صعيد الوادى الكبير وكانت من المدن المتحضرة تأثرت بحضارة اليونان وحضارة الفينيقيين ٠

ولئن تزوج حنبعل بفتاة اسبانية فلم يكن ذلك على ما يبدو تحت عوامل الحب والغرام فحسب بل دفعته الى ذلك الزواج أيضا واجباته السياسية العسكرية ٠ وكان الزواج السياسي من التقاليد التي عرفتها قرطاج ٠ واحتفظ التاريخ لنا بأمثلة عديدة منها ٠

فكثيرا ما كان أشراف البونيقيين يستخدمون الزواج لتدعيم روابط الصداقة وتمتين علاقات المودة وكسب الاحلاف علما منهم بوزن العاطفة في سر البشر ومجرى الاحداث ٠ تزوج إذن حنبعل بتلك الفتاة الاسبانية فكان زواجا مشرفا لمدينة كاستولو (Castulo) مما دفع أهلها الى التقرب من حنبعل والاخلاص اليه ومؤازرته في نضاله ضد الرومان ٠ وبقيت المدينة ملتزمة بصداقتها نحو البونيقيين سنينا عديدة ٠

أما زوجة حنبعل فليس لدينا عنها الا ما ورد في أبيات قالها شاعر روماني عاش في القرن الاول بعد المسيح وهو سليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) وهي أبيات جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار كما أقره المؤرخ الفرنسي جيروم كركوبنو (Jérome carcopino) ٠

كانت زوجة حنبعل تسمى إملكا في رواية الشاعر الروماني الآنف الذكر (Imilce) ويرجح أنه اسم فينيقي الاصل ، وقد يكون تحريفا « لحيميك » وهو اسم متداول عند الفنيقيين والبونيقيين ٠ فان ثبت هذا الافتراض أمكن ستخدامه ركيزة لافتراض آخر يتعلق بمدى تأثير الحضارة الفينيقية البونيقية في بعض القبائل والعائلات الاسبانية حتى أصبحت أبناؤها تحمل أسماء فينيقية بونيقية ٠ فزوجة حنبعل إسبانية الاصل لكنها تنتمي الى عائلة استوعبت الحضارة الفينيقية البونيقية ولعلها شاركت في تطعيمها واثرائها ٠

على كل فلقد انجبت إملكا طفلا من حنبعل ٠ ولد أيام كان القائد يحاصر مدينة ساغونته (Sagonte) ٠ وفي ربيع سنة 218 قبل المسيح أى عند انطلاق الجيوش البونيقية نحو إيطاليا لما يتجاوز ابن حنبعل السنة الأولى من عمره ٠

ومما أورده سليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) أن القائد حنبعل سافر الى مدينة قادس (Cadix) وهي من أعتق المدن التي شيدها الفينيقيون في غربي البحر المتوسط ٠ سافر الى مدينة قادس صحبة زوجته وابنه ٠ ومن ميناء قادس أرسلهما الى قرطاج حتى يكونا في مأمن من أحداث الحرب وتقلبات الدهر ٠

ولقد تأثر حنبعل شديد التأثر عند فراق زوجته الفاتنة وابنه الصغير ٠ كما تألمت زوجته شديد الألم ٠ وما أنفكت تنظر اليه بعينين ملؤهما دموع الحب والحنان وظلت عيناها متعلقتين بالارض التى بقى فيها حنبعل حتى غابت تلك الارض وراء البحر وأمواجه العارمة ٠

توارت السفينة عن بصر حنبعل كما توارت عن بصر التاريخ أخبار زوجة حنبعل وأخبار ابن حنبعل وكأنهما لقيا حتفيهما قبل رجوع القائد الى أرض الـوطن ٠

خلـق حنبعـل :

بقى حنبعل طيلة الحرب البونيقية الثانية بعيدا عن عـائلته أى عن زوجتـه وابنه ٠ وقد اعجب المؤرخون بعفاف حنبعل واخلاصه لزوجته اخلاصا لم ينل منه جمال الأسيرات بل يرجح أنه لم يقترب من امرأة طيلة إقـامته فى أرض العدو باستثناء مجازفة لا وزن لها فى حيـاة القـائد وردت فى كتب المـؤرخ الرومانى (Tite Live) حيث يثبت فى كتابه الرابع والعشرين أن حنبعل قد تعرف باحدى فتيات الهوى فى مدينة سلابيا (Salapia) وجاء فى الكتاب الثالث من مصنفات إبلين (Pline) الاكبر أن مدينة سلابيا (Salapia) ما انفكت تذكر بافتخار تلك المجازفة الغرامية التى عاشها حنبعل بين جدرانها ٠ ويبدو حسب المؤرخ الفرنسى جيروم كركبنو (Carcopino) أن ذلك الحدث الطفيف يعود الى سنة 214 قبل الميلاد ٠ وقد غادرت إذ ذاك زوجة حنبعل دنيا الاحياء ٠ أما الاخبار التى أوردها أبيان (Appien) والتى تثبت أن القائد البونيقى أنجب طفلا أيام إقامته فى مدينة كابو (Capoue) فلا نصيب لها من الصحة ٠ بل من المرجح أنها وضعت من طرف الذين غالوا فى تلوين حياة الترف والقصف التى آنغمست فيها جيوش حنبعل يوم كانت عدة معسكرهم منصوبة فى مـدينة كابو ٠ وكثيرا ما يشير المؤرخون الى انحلال جيش حنبعل من جـراء حيـاة القصف والالتذاذ التى عاشها القائد وجنوده فى تلك المـدينة المشؤومة التى كانت وطنا للذة حسب قولهم وقبرا لقوة أبناء قرطاج وجيوشها ٠ على أن هذه الافكار والتعاليق لا شأن لها فى نظر المؤرخ الحق ٠ أجل ! لقد انهزم حنبعل ولكن لذلك أسبابا سياسية وعسكرية لا علاقة لها بمدينة كابو (Capoue) ولا علاقة لها بحياة الترف والقصف التى عاشها الجيش القرطـاجى فيما كانـوا يزعمون ٠

ومهما يكن من أمر فالابحاث العصرية التى أجريت حول شخصية حنبعل

تثبت جميعها تمسك القائد البونيقى بالاخلاق الحميدة والاتزان لا سيما فى الحياة الجنسية • بل كان كما أشرنا زوجا مثاليا يؤمن بما يحتويه عقد الزواج من حقوق وواجبات كما كان يؤمن بالقيم البشرية • فهو من ألد أعداء الأنانية • وذلك ما جعل المؤرخ الفرنسى تيار (Thiers) يعده أعظم من الاسكندر المقدونى وقيصر وحتى نابليون •

ويبدو أن الامبراطور الفرنسى كان معجبا بشخصية حنبعل حتى أنه درسها استنادا الى المصادر القديمة أيام عزلته بجزيرة سانت هيلان (Sainte Hélène) ولئن تحلى القائد البونيقى بالاخلاق الحميدة فذلك لأن أباه عمل على أن تكون الفضيلة من طبعه • غرسها فيه فنشأت ولعلها وجدت تربة فتغذت ونمت • لقد أحسن أبوه تربيته حتى كان لا يفكر إلا فى مجد قرطاج ولا يؤمن بواجب كايمانه بواجبه نحو قرطاج •

ولم يختل عن القائد البونيقى عن الاخلاق السامية فى معاملته للاسرى • على أن تيت ليف(Tite Live)وديودور الصقلى(Diodore de Sicile)وأبيان(Appien) نددوا غير ما مرة ، بقساوة حنبعل • قساوة لم يثبتها المؤرخ اليونانى بوليب وهو أجدر بالثقة • بل أثبت بكل تجرد وموضوعية أن أعمال القسوة التى نسبوها الى حنبعل تعود فى الحقيقة الى ضباط تجاوزوا أوامر القيادة • ولا شك أن الظروف تسيطر أحيانا بقوة وعنف فتتولد عنها القسوة وتداس فيها قيم الانسانية فيكون العذاب والتخريب والتقتيل وليس فى إمكان أحد أن يحول دون ذلك •

ورع حنبعل وتدينه :

ومما لفقه بعض المؤرخين القدامى للقدح فى حنبعل أنه أمر بنهب معبد كان بالقرب من مدينة كانة (Cannes) حيث سجل الجيش البونيقى انتصارا باهرا على الكتائب الرومانية • إنها تهمة ملفقة لأن قائدنا قد اشتهر بالتدين والورع واحترام الآلهة • كما تشهد به كتب القدماء انفسهم • ومن الاخبار المتعلقة بتدين حنبعل وبورعه أنه كان يذكر الآلهة فى خطبه التى يتوجه بها الى الجيش والقبائل الاسبانية •

ولم يكن ذلك من باب الاغراء والدعاية بل ينم عن روح تؤمن بوجود قوة وراء الطبيعة قوة لها مظاهر عديدة وأسماء تختلف باختلاف الزمان والمكان • وقد يكون لتلك القوة وزن فى مجرى الاحداث •

ولعل ذلك من العوامل التى دفعت حنبعل الى زيارة معبد ملقرط بقادس غداة رجوعه من ساغونته (Sagonte) لقد قام للاله الهدايا والضحايا ودعاه أن يحيطه بعنايته وأن يؤازره على تكسير شوكة العدو · ثم غادر القائد مدينة قادس نحو قرطاجنة الاسبانية ومنها انطلق على رأس جيوشه نحو أرض العدو ·

وذكر المؤرخ اليونانى سيلينوس (Silénos) وهو من الذين كانوا صحبة حنبعل وعاشوا معه فى المعسكرات وكان (Silénos) مكلفا بتاريخ أعمال القائد أثناء الحرب · وذكر سيلينوس ان الاله بعل حمون بدا للقائد فى منامه وأمره بالزحف على أرض إيطاليا ·

لقد عرف حنبعل إذن بورعه واحترامه لآلهة قرطاج كما كان أيضا ينظر الى الآلهة الاجنبية بعين الاعتبار والوقار · كان يحترمها كما يحترم ملقرط أو بعل حمون · من ذلك تراه يأمر باحترام معبد الآلهة أرتميس (Artémis) أيام زحفه على مدينة ساغونته · وكان له نفس الموقف ازاء معبد هيرا (Héra) بجنوب إيطاليا حتى قيل أنه امتنع عن أخذ سارية من ذهب صلب كانت بالمعبد · وامتنع عن أخذها رغم حاجته الملحة للنقود وقتئذ ·

تلك ثلة من الاوصاف الحميدة والاخلاق الفاضلة التى كانت تتحلى بها شخصية حنبعل ·

ثقافة حنبعل :

وكانت ثقافة حنبعل واسعة ذات مستوى عال وكانت تتلاءم والتقاليد البونيقية وقد كان أعيان قرطاج يهتمون اهتماما كاملا بتربية أبنائهم وتثقيفهم بل وكانوا يسهرون على تثقيف بناتهم حتى يجمعن بين الجمال وروح الادب والفن ·

أما بالنسبة لحنبعل فلقد أوردت كتب القدماء أنه كان يتحلى بالثقافتين البونيقية واليونانية · ومن المرجح أنه تعلم لغة اليونان منذ صغر سنه · وذكر المؤرخ الرومانى كرنليوس نيبوس (Cornélius Népos) أن أباه عبد ملقرط وضعه تحت رعاية معلم يونانى يدعى سوزلوس (Sosylos) · وكان الطفل يحب معلمه حبا عميقا حتى كان القائد لا يتحمل فراق معلمه وأبى إلا أن يأخذه معه أيام زحفه على إيطاليا · وطلب منه أن يؤرخ أعمال الجيش البونيقى

وأجاب سوزلوس (Sosylos) الدعوة وصنف سبعة كتب تحت عنوان « تاريخ حنبعل » • لكنها كتب لم يبق لنا منها شيء •

على أنه لم يكن فى إمكان سوزلوس (Sosylos) أن يكون فى آن واحد هنا وهناك • الامر الذى جعل حنبعل يكلف مؤرخا يونانيا صقلى الاصل يدعى سيلينوس (Sélinos) كلفه بتسجيل مآثر الجيش البونيقى باسبانيا •

كذلك نلاحظ أن حنبعل كلف مؤرخين يونانيين لتاريخ الحرب البونيقية الثانية • ومن ذلك استنتج الفرنسى جيروم كركوبنو (J. Carcopino) أن اللغة اليونانية كانت مفضلة لدى القائد البونيقى •

لا شك أنه كان يحسن اللغة اليونانية كلاما وكتابة • لكن لا أظن أنه كان يترفع عن لغة بلاده وأجداده ولعله كان مصحوبا عند زحفه على إيطاليا بمؤرخين من قرطاج ليؤرخوا بلغة قرطاج •

على أنه ليس من الغريب أن يلاحظ حنبعل تفوق لغة اليونان من حيث وضعها فى أقطار العالم إذ ذاك • كان القائد يرغب فى إشعاع قرطاج وذلك دفعة فى رأينا الى استخدام اللغة اليونانية • كان حنبعل يسعى إلى أن يتعدى ذكره وذكر قرطاج حدود ساحة الوغى وحدود قرطاج • كان يستعمل إذن لغة اليونان للدعاية والتعريف والاشعاع •

وكان حنبعل من الذين كتبوا باللغة اليونانية كالرسالة التى توجه بها الى سكان جزيرة رودس (Rhodes) يحذرهم فيها من توسع الرومان وهيمنتهم• فالظروف هى التى جعلت حنبعل يكتب رسالته بلغة اليونان إذ هى اللغة التى يفهمها أهل الجزيرة •

كان القائد البونيقى إذن على درجة من الثقافة ساعدته على اكتساح اسرار الخطابة والفصاحة وقد بلغتنا عن ذلك أصداء ضئيلة نلمسها فى كتب تيت ليف •

وكانت لغة حنبعل الخطيب تتلاءم والمستمعين • فكان يحسن مخاطبة الجيوش كما كان يحسن مخاطبة أرباب السياسة • فلقد حذق مزج القوة باللطف حتى كان لا يجد صعوبة فى التأثير على الذين يبغى مساعدتهم أو إقناعهم • فلما

وضعت الحرب أوزارها وعاد القائد الى قرطاج أبرز مهارته فى فن الخطابة · مما ساعده على كسب عطف الجماهير وتنفيذ سياسته الاقتصادية التى كانت تهدف الى انتشال قرطاج وتضميد جروحها · فشعر الرومان بالخطر وأيقنوا أن لا نجاة لروما ما دام حنبعل بقرطاج· فأرسلوا يطلبونه· لكنه كان أحذق من أن يسقط بأيدى الذين يريدون به شرا · فخرج من المدينة خفية وبات يجوب الأقطار سعيا وراء القضاء على عدوه ·

قد يطول بنا الحديث عن حياة حنبعل فى المهجر فلنكتف بقولنا انه مات فى بلاد الغربة وكان طيلة حياته مخلصا للقسم الذى أداه أمام مذبح بعل حمون وهو فى التاسعة من عمره · وانتحر حنبعل حتى لا يسقط بأيدى الرومان وهو فى السبعين من عمره بعيدا عن وطنه · ذلك الوطن الذى ناضل فى سبيله طيلة حياته · ورفعت جثمانه يد أجنبية · وحفرت له خندقا قرب شاطىء بحر مرمرة فى شمال البلاد التركية حاليا ·

م· ف·

اقرؤوا فى الأعداد القادمة

- « ألف لام ميم » (الجزء الثانى) مسرحية : لأحمد القديدى
- « حين تحج الأم » قصة : للحبيب إبراهم
- « المهاجر » قصة : لحسين الواد
- « سأموت » قصة : للمختار الزوارى
- « فى نقد الفن التصويرى » بقلم : نور الدين بن بلقاسم
- « طعام البحر » قصة : لنور الدين بن بلقاسم
- « لغز المدينة الخضراء » قصة ، بقلم : إبراهيم بن مراد الخ ···

في غير العمودي والحر

كوكتال في الهواء الطلق

شعر : الطاهر الهمامي

1. — **شكوى إلى** « السيّد عبد العزيز العروي » *

تَحياتِي ، سَيِّدي
وَبَعدْ :
فَإنّ قِطَارَ « القَلْعَةِ الجرْدَاء » *
عربَة هَرِمَه
هَرِمَةٌ سَوْداء
سَوْدَاءُ وَسَخَه
وَسَخَةٌ ضَيِّقَه
كَثِيرَةُ العُوَاء والنَّهِيقْ
وَفِيهَا يُنْصَبُ السُّوقْ
بَيْضاً مَسْلُوق
وَدَجَاجاً يَنهَقْ
وَأرَانِبَ تَقُوقْ .
وبعضنا مَصْلُوبْ
وَبَعْضُنَا مَشْنُوق
نَأتِيهِ فجْراً
ويأتِينَا شُرُوقْ

S.N.C.F.T.
Prix 2me classe
PLACE
ENTIERE
Tunis-ville
KALA DJERDA
C N° 002475

(*) الناقد الإجتماعي ، صاحب الاسمار الإذاعية المعروفة .
(*) الخط الحديدي (تونس — قعفور — القلعة الجرداء) .

وقَدْ يخرُجُ بنَا من السّكَّه
أوْ يسْقُط فِي وَاد
قِطارُ « القَلْعَةِ الجرداء »
كَلْبَة جَرْبَاء
وأضْرَاس مُصْطَكَّه
نشَّفَ أرْيَاقَنَا
وَيَبَّسَ العُرُوقْ .

2. — مالا لا ! *

«...
....
....»

وَتَعُودُ الاغنيَه
حَتّى يَقْلَقَ الحَاضِرُونَ
فَيَتَقَيَّأُ البعْضْ ،
ويَنْتَحِرَ البعْضْ ،
ويَمُوتَ وَيَحيَا البَعْضْ ...

(*) عبارة شعبيّة من أغنية تونسيّه . ومعناها : أجلْ — وكيف لا ؟
(*) من قاموس الأغنيه التونسيّة الحديثة ، بيني وبينك :
« يَا خَنَّابَه
وْيَا مسْميَّة
وَيَا خنْدُودَه ...
خرَجْتْ بْمقْرُونِي نتْصيَّدْ
فِي الغَابَه صَادِتنِي هيَّ ...
زينِكْ مَا صَارْ
كَيِّلتُو لِقيتُو قنْطَارْ ...

3. — **سوق عكاظ**

بَـــاعـَةُ الـكـلامِ الابْيَض ْ
مَـــازَالتْ قُلُوبُهـم تَنْبُض
ومَـــازَالـُوا يَعِيشُون
وَقَـدْ حَسِبْنَـــاهم غَــابُـوا
وتَـــابُـــوا
بَـــاعـَةُ الكَـلاَم الابْيَض ْ
مَـــازَالـُوا فِي المَعْرِضْ
وَسِلَعُهُمْ تُعْرَض
بَـــاعـَةُ الالْفَـــاظْ
مَـــازَالـُوا
وَمَـــازَالَتْ عُـكَـــاظْ .

4. — **قافلة تسير** *

(التصفيق) ....
....
....
.... الخ »

قَـالُوا زينِكْ عَــامل حَــالَـه
مَـــالاَ لاَ لَـه ...
نِـحّ السَّفْسَـاري
هَـــا يَـــا حُوريَه ...
خَمْرَه وسَمْره وْ قمْرَه وجَمْرَه وْ تَمْرَه ...
يَـــاختَنَّـــابَه
وَيَـــا مسْمِيَه
وْيَـــا خَنْدُوده ...
يَـــا شَـــاقَـــه لمْـرَاحْ ...ألخ » *

(*) برنـــامج إذاعي تونسي في صيغة أغاني وأشعار شعبيّةمادحة ومتغزلة.

وتَعُـودُ الاغنْيه
وَنَفسُ المُغَنّي يَعُـودْ
حتّى أقلَـقَ
وتَقلَـقْ
وَنُجدّفَ ونمزّقْ
ونَصيحَ في وَجْهِ البَوّابْ :
أغْـلِـقْ !

5. — **قصيدة بصريّة**

AFRICA *

6. — لِـمَ تـزقـزق العصافير ؟
عَصَافيـرِي تُـزَقْزِقُ تُزَقْزِقْ
وَلاَ تَقْلَقْ
تَمُـدّ أعْنَـاقَهَـا
وَتَفْتَـحُ المنَـاقِيرْ
تَكَـادُ أنْ تَنْطِقْ
عَصَافِيرِي
وَهْيَ لاَ تَدْرِي
أنّ بِي نَكْبَةَ العَصَافِيرْ

7. + – ؟ !

∞ += ..... ++++ + + + + + + + + + + +
∞ –= ..... –––– – – – – – – – – – – –
؟؟؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟
! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! !
؟ هـ...مـ...لـ...كـ...الـ ؟ ....

يسقط الرقم

(*) ما تقرؤه وأنت تحدّق في جبين أحدث وأضخم عمارة تحتضنها سمـاء العاصمة التّونسيّة .

8. — **المزعجات**

قِطارُ القَلْعَةِ الجَرْداء
يَنْهَقُ نَهيقْ
وَيَعْوي عُواء
وَقَدْ تَكونُ في النَّوْمَةِ الحُلْوَه
ما بينَ يَقْظَةٍ وَإِغْفاء

فَيَرُشُّنا بِالْمِلْح
وَيَضْرِبُنا بِالْماء ،
وَنَحْسَبُ الطُّوفانَ جاء !

9. — **غلاء المعيشة**

سَأَكْتُبُ أُغْنِيَتي بِالنَّارْ
وَبِالْغَضَبْ
حينَ يُورِقُ في أَحْداقِ الصِّغارْ
وَبِمِلْحِ البَحْرِ سَأَكْتُبُها
بِالدَّمِ حينَ يَنْزِفْ
وبِالصَّديدِ النَّازِفْ
مِنْ جُفُونِ اللَّيلِ والنَّهَار
بِريقِ أطفالِنا
يَنْتَظِرُونَ في شَغَفْ
هُبُوبَ الرِّيحْ
وَتَهاطُلَ الامْطارْ
سأكْتُبُ أغْنِيَتي بِالماء
وَبِالهَواء
حينَ يُصْبِحانِ بِضاعَه
تُباعُ وَتُشْتَرى
فَيَشْعُرُ الفُقَراء

بالضّيق والمـــرارَه
بِرَشْح المجـَاعـَه
سأكْتُبُهَـا
بِبَوْل المُتخمَـاتِ في الحَضَاره
وبخيْبَـة العِبَـارَه
وَهْيَ تَمُوء
تَمُوءُ تَحتَ جِدَارْ
جِـدَارِ أمّـةٍ سَمْسَارَه !

10. — **فراغ يملؤه القارىء**

.... موقفة ....
....
....

— صيف سنة 1970 —

11. — **استدراك** في «حظك اليوم»

تركبُ اليَوْمَ قطَارَ القَلْعَة الجَرْدَاء
لِتنْزِقَ عَلَيْكَ دَجَاجَه
دَجَاجَةً رَمْدَاء
وَلتقفَ تقِفْ
وَتيْبَسَ تَيْبَس
تَيْبَس عَصَـا
وتَسْتَعْصِي على السَّيْرِ والكَلام والإصْغاء..
تَرْكبُ اليَوْمَ عَرَبَه
عَرَبَةَ هَرِمَـه
هَرِمَةَ سَوْدَاء
سَوْدَاءَ وَسِخَـه
وَسِخَةً ضَيِّقَـه
كَثِيـرَةَ العُـوَاء ...

ندوة القراء

صاحب الحمار أو قضية الثورة والغريزة

عرض وتقديم : علي الشمـــلي

بالرغم من ايماننا بان الناس ـ كل الناس تقريبا ـ أعداء لما جهلوا وأحلاف لما ألفوا فان أحدا لا ينكر ان النهضة الادبية فى بلادنا وفى الظروف الـراهنة هى فى حاجة ملحة الى انقلاب أدبى جذرى ـ بدأت تظهر بوادره ولا ينتهى الى تحقيق انتصارات تعبر عن مشاغل جيل مثقف طموح الا اذا تمكن من القضاء على الشعارات التى وضعناها بأنفسنا حجر عثرة فى طريق تركيز أصالتنا الفنية التى من الضرورى أن تستمد اشكالها ومضامينها من مقومـاتنا الـوجدانية والاجتماعية المتطورة ٠٠ نحن لا ندعو الى اثارة خصومات جديدة ولا نهدف الى الانعطاف بالتآليف الادبية الى زوايا التشتت أو تفريقها الى نزعات نعلم حتما انها لا تطلع علينا بقضايا جديدة أو عناصر فكرية مستحدثة بل أقدس وأقصى ما ننزع اليه هو الصمود فى وجه تيار قديم جرف معه الكثير من طاقاتنا الفكرية الى بيادر الجمود والجفاف الروتينى الممل ٠٠

على هذا الاساس وبالاعتماد على حقيقة أدبية وجدت لها الى عـالم المسـرح منفذا جديدا وقع عليه بامضاءه كل انسان فى صراع مع النفس الامارة بالسوء، كان بروز مسرحية ـ صاحب الحمار ـ حدثا أدبيا حفـز عـددا من رجـالات الفكر والفن فى الساحل الى تنظيم ندوة بمدينة المنستير أشرف عليها الاستاذ محمد مزالى مؤسس مجلة الفكر ومديرها ـ ورأينا من الضرورى أن نستعرض ما جاء فى كلمته التى تحدث فيها عن المؤلف وعن محتوى المسرحية والحركة النقدية باعتبارها خواطر لها من الاهمية ما يجعلها تسلط اضواء لا على هـذا الانتاج وحده بل وحتى على الحركة الادبية الراهنة ومـا يجب أن تقـوم بـه لتعكس ارادة رجالات الفكر للخلق والابتكار والسمو بالانتاج الى مصاف الآداب العالمية العميقة وهذا يتوقف بالطبع كما يقول الاستاذ مزالى على حماس الشباب

ونضالهم الفكرى ٠٠ ان ما جاء فى مسرحية ـ صاحب الحمار ـ من **طموح وعزيمة التحدى والخلق يدخل فى الثورة الثقافية ومحبة الوطن والاخلاص للقيم فعسى أن يقتبس شباب اليوم من هذا الانتاج العظيم ما يمكنه من انطلاقة** جدية جديدة ، وقال السيد محمد مزالى انى اعجبت بهذه المسرحية ويلذلى أن اتوجه بتحياتى واعجابى الى المؤلف الذى اعتبره أملا من آمال الادب التونسى وممن نرجو أن ينهض على أيديهم هذا الادب نهضة صحيحة نظرا لقدرته على التعبير وبراعته فى التصوير وما نجده فى كتاباته من اتجاه صحيح أصيل ٠ فالمدنى يؤمن بكونه تونسيا ويعتز بتونسيته وبالرغم من أن هذه الصفة تبدو بسيطة الا أنها خطيرة الى درجة ما باعتبار أن الكاتب يؤمن بأنه يجب أن يكون لتونس أدب وأدباء وعز الدين المدنى يحاول أن يركز ادبه ليجعله فى مصاف الآداب العريقة وهذا لا يمنعه كما لا يمنع غيره من الاقتباس من الآداب الاخرى واذا كان المدنى صمد صمودا جسمه فى قوله : « لنكتب ، لنكتب » عندما أصابته ويلات النقد فان الواقع يجعلنا نتأكد أن الكاتب يكتب والناقد ينقد كما يشاء ولكن التاريخ يغربل فالمدنى لا يعتبر أن الرد هو الاساس لان الكتابة وحدها هى اكبر ضمان لنجاحه ونجاح الادب التونسى ٠٠ والمدنى شاب يتطور مع الاحداث والدليل على هذا المسرحية التى الفها وانتقده عليها « ثور يون » متحجرون ورجعيون فى حين أن الواقع يفرض أن يكون الاصغاء الى المستقبل وحده ضمان الخلود والنجاح فمن المستحيل أن يحكم الانسان على الانتاج بمقاييس متحجرة **لان الاعتزاز بالرأى لا يكون له قيمة الا اذا ترك صاحبه المجال الى امكانية الاصغاء الى همسات الواقع وتطور الاحداث** ولا ننسى أن التحجر والتشبث بالرأى أوقع لا الادباء فقط بل وحتى العلماء فى غلط فادح ٠٠

ان من انتقد المدنى اما انسان متعصب للماضى متشبث بالتاريخ وحده أو شخص يدعى التقدمية ولكنه فى بحثه عن المستقبل الخلاق يسلك منهجا متعصبا ويلتزم التزاما اعمى ويحصر نفسه فى دائرة مغلقة **وان ما يدفع الى مثل هذا القول ليست العلاقات الشخصية بل المسرحية التى تعتبر حدثا هاما فى درب الادب الطويل ٠٠٠**

ـ ثورة صاحب الحمار ـ تضع مشاكل كثيرة ولكن ليس هناك اى مجال للمقارنة بين ما جاء فى احداثها وبين الواقع القومى **لان أقوى معيار لنجاح الاثر الادبى هو أن يدفعنا ويحفزنا على التفكير والتساؤلات والحيرة فى بعض الاحيان ويزيل عنا شيئا من الرتابة ٠٠** من بين قضايا المسرحية قضية الثورة وابعادها فهى حلم الشخص العملاق وطموحه وهى طموح الانسان البسيط

الذى زوده الله بالعقل ولكنه فى حدوده ظل منجذبا الى الارض فالمهم ليس هو الثورة لان وراء كل ثورة انسانا يكون مصيرها مرتبطا به ومشروطا بمستواه وامكانياته · والانسان هو الذى يصنع التاريخ ويعبد له الطريق أو يسدها فى وجهه ·· فلماذا خاب صاحب الحمار ؟ لان نفسه كانت صغيرة لم **تصمد** أمام الاغراءات بكل أنواعها ولانه لم يستطع التغلب على مشاكل النصر **ولانه ربط مصير الثورة بميوله وبشهواته** ولانه اهمل التعاون مع الآخرين ولم يكن قدوة لغيره · وان المسرحية تصور لنا اذن عظمة الانسان وحقارته أمام المطلق وهى لن تنتهى ما دام هناك بشر فهى تظهر فى مظهر التراجيديا ولكنها تصور طموح الانسان وعذابه واحقاده وتصور كذلك امكانية تحسن الانسان بمقتضى عمله الذاتى والاخلاقى فعليه اذن أن يرفع مستواه **فيسيطر على الكون اذا هو سيطر على نفسه ···**

هذه هى مسرحية صاحب الحمار عبر بها الكاتب عن افكار عصرية ومشاكل العالم الثالث ومشاغل الشباب الثائر النازع الى عالم مثالى ·

بقى أن أقول بعد هذا الاستعراض لاهم ما جاء فى حديث **الاستاذ مزالى عن ــ صاحب الحمار** ــ ان الادب التونسى اليوم فى حاجة ملحة ، زيادة على **الانقلاب الجذرى** ، الى مدرسة أدبية تغرس الكرامة والعزة وتعمق المفاهيم **الانسانية فى اذهان الشباب** وتكون ملتقى لمحتويات الادب السامى الذى **انطلقت منه هذه المسرحية** وميدانا خصبا لانتاج يقف بالمرصاد فى وجه الذين **حاولوا ويحاولون التنقيص** من قيمة الادب وأهميته عندنا وهم ينتمون الى حضارتنا ذلك **أن الثورة** المباركة التى قام بها عدد من شبابنا على القوالب المألوفة والآراء المعهودة **سيكون مصيرها** حتما وبارادة الله وعزيمة المفكرين الخير كل الخير **ما دام مصير هؤلاء ــ الثائرين ــ يهدف الى الخير لان مصير الثورة مرتبط بمصير الثائر الانسان كما أشرنا فى البداية وكما قال** السيد محمد مزالى ·

ع· ش·

نقوش على تاج الحرية

شعر : حمادي التهامي الكار

إلى رفاقي : شعراء العالم الثالث

كتبنـــا الاشعـــارْ
مـزّقنـــا الاستـــارْ
علّمتنا الحياة كيف نمشي على الاحجـــارْ
كيف نستحلي زخّـات الامطـــارْ
كيف يضيع العـــالم في عيـوننـــا
كيف نصبح أسطورة يتلهّى بهـــا السّمّـــارْ
يـــا وحشة الاقمـــارْ
ويـــا صمت اللّيـــالي البيضـــاءْ
إنّـــا هنـــا عبـر الادغـال نـزحفْ
نمشي على الاشواكْ
فهـلاّ بـــان لنـــا نـور
يـذكـي في نفوسنـــا الشّرارْ
وينـيـر لنـــا طريق الاحـــرارْ
يـــا ضيـاع العـــالمْ
ويـــا تـدهـور الاشيـــاءْ
سرنـــا
والـدّرب أصبح قفـرْ
فمتى ... متى يطـلّ علينـــا الفجـرْ

كنّا في ماضي الايّام
نذوب في الليلْ
يذبل عيوننا السّكرْ
نخشى انتفاضات الويلْ
لكنّا فجّرنا اليوم السّيلْ
تعلّمنا أناشيد الحرّيه
رفضنا زقزقة الاطيار الوحشيّة
أدركنا كيف تنهمر الامطارْ

ح. ت. ك.

19 سبتمبر 1970

أضواء الفكر

• **جوائز الموسم الثقافي 1968 ـ 1969 :**

تعلن وزارة الشؤون الثقافية والاخبار انها اسندت ـ في نطاق الموسم الثقافي 1968 ـ 1969 ـ جوائز تشجيعية للكتب الصادرة في الموسم المذكور وهي الآتية :

الشعر :

ـ « ينبوع لا يجف »	للسيد أحمد المختار الوزير
ـ « ابتهالات »	للسيد محمد الناصر الصدام
ـ « قرط أمي »	للسيد الميداني بن صالح

القصة :

ـ « خرافات »	للسيد عزالدين المدني

البحوث والدراسات :

ـ « بذور »	للسيد البشير المجدوب
ـ « من رسائل ابن أبي ضياف »	للسيد محمد الصالح مزالي
ـ « الوراثة على العرش الحسيني »	للسيد محمد الصالح مزالي
ـ « احوال تونس قبيل الاحتلال »	للسيد محمد الصالح مزالي

التعريب :

ـ « يرما » لفرسيا لوركا	تعريب : السيد توفيق عاشور وعزالدين القرواشي
ـ « عطيل » لشكسبير	تعريب : السيد الطاهر الحميرى

قصص الطفولة :

ـ « أسد ابن الفرات »	للسيد علي الحوسي ـ تصوير السيد منصف زرياط
ـ « صابغ البحر »	للمرحوم مصطفى خريف ـ تصوير السيد محمود الرباعي
ـ « العصفور والملك »	للسيد عبد الحميد القسنطيني ـ تصوير السيدة قوزين المبروك
ـ « سر قارة لادتلنتيد »	للسيد جان ديفلندر

وقد اسندت هذه الجوائز طبقا لما جاء في الامر الجمهوري المؤرخ في 6 ماي 1968 والخاص بتشجيع الانتاج الفكري وحركة النشر .

• ورد على المجلة كتاب السقف وهي مجموعة أقاصيص للكاتب المغربي محمد إبراهيم بو علو .

• أهدانا مشكور الباحث المحقق زين العابدين الكتاني الجزء الأول من كتابه : الصحافة المغربية نشأتها وتطورها وهي ثبت مفصل للجرائد التي برزت في المغرب الأقصى الشقيق من سنة 1820 الى سنة 1912 والكتاب تحصل على جائزة المغرب لسنة 1969 .

• استقر الرأى على أن ينعقد بدلهي الجديدة من 16 الى 21 نوفمبر المؤتمر الرابع للكتاب الافارقة الآسيويين .

• **جائزة نوبل للآداب :**

يذكر القراء الضجة الكبيرة التي اصبحت سنة 1958 أعلان إحراز بوريس بسترناك الروسي جائزة نوبل ، وما لاقاه من عنت السلط آنذاك واضطراره الى رفض الجائزة . وفي هذه السنة اتجهت أنظار لجنة التحكيم السويدية الى الكاتب الروسي ألكسندر سلجنتسين ومنحته الجائزة التي تقدر باثنين واربعين ألف دينار تونسي معللة ذلك « بما لهذا الكاتب من قدرة ملحمية على مواصلة التقاليد الادبية الروسية » .

ولد الكسندر سلجنتسين بكسلفوست في 11 ديسمبر 1918 . وزاول تعلمه العالي بجامعة موسكو وأحرز على الاجازة في العلوم الرياضية والطبيعية . ولما اندلعت الحرب بين روسيا وألمانيا سنة 1941 تطوع كجندي بسيط ووسم مرتين وأصبح نقيبا .

غير أنه رغم سلوكه المشرف اثناء الحرب أوقف سنة 1945 لاقترافه « جريمة التحريض ضد السوفيات بين معارفه » وحكم عليه بثمانية أعوام أشغالا شاقة . وكانت توجد في ملف القضية رسالة وجهها الكاتب الى أحد أصدقائه يوضح فيها رأيه في ستالين شاكا في مواهبه الحربية . وفي سنة 1953 أطلق سراحه ووضع في قرية كزاكستان تحت الاقامة الجبرية وفي هذه القرية أحس لأول مرة بعوارض داء السرطان . ودخل المستشفى وفيه كتب قصته « جناح المصابين بالسرطان » .

وفي سنة 1956 عفى عنه إثر المؤتمر العشرين للحزب وبعد أن قرأ أمام المحكمة قصته « يوم من أيام إيفان دنيسوفيتيش » التي عرض فيها بغطرسة

ستالين وطغيانه . وقد ظهرت هذه القصة فى مجلة « نوفى مير » بتدخل من خروتشوف .

واستقر الكاتب فى مدينة « ريوزون » حيث درس الفيزيا وواصل الكتابة . ونشر فى الاتحاد السوفياتى عدة قصص وهى « دار متيرمونيا » و « هذا وقع فى كرتشفوكا » و « من أجل القضية » . وفى هذه السنوات أوشك على أن ينال جائزة لينين بصفته « مساعدا أصيلا للحزب » .

وتغير الأمر ابتداء من سنة 1964 . فهاجمته صحيفة « لا برافدا » وصحيفة « ازفستيا » وامتنعت دور النشر من تزكيته وطبع كتبه وحجـزت مؤلفـاته فأصبحت غير موجودة فى المكتبات .

ولم تظهر قصته « الدائرة الأولى » وقصة « جناح المصابين بالسرطان » إلا فى الولايات المتحدة الأميركية وفى بريطانيا العظمى . عند ذلك أدانه اتحاد الكتاب فقرر الكاتب أن يكافح داخل الاتحاد السوفياتى وكتب رسالته الشهيرة الى اتحاد الكتاب يندد فيها بالرقابة وبحظ الكتاب السوفياتيين المنكود . ولم يسع اتحاد الكتاب إلا أن طرده من دون أن يسمح له بالدفاع عن نفسه .

ورغم مرضه المتفاقم فان سلجنتسين أبى أن يغادر بلاده وقد سمحت لـه السلطات حسب ما يظهر بذلك .

وقد قبل الكاتب جائزة نوبل خلافا لمواطنه الراحل بسترناك وعبر عن عزمه على السفر الى عاصمة السويد لتسلم الجائزة . والملاحظ ان الصحافة الروسية وخاصة المجلات الادبية منها لم تزل تكيل له الشتائم منذ أن أعلن عن اسناد الجائزة إليه .